347

HARLEQUIN

روايات أحلام

... ثم عاد الأمس

هيلين بروكس

www.Rewity.com
Dalyai

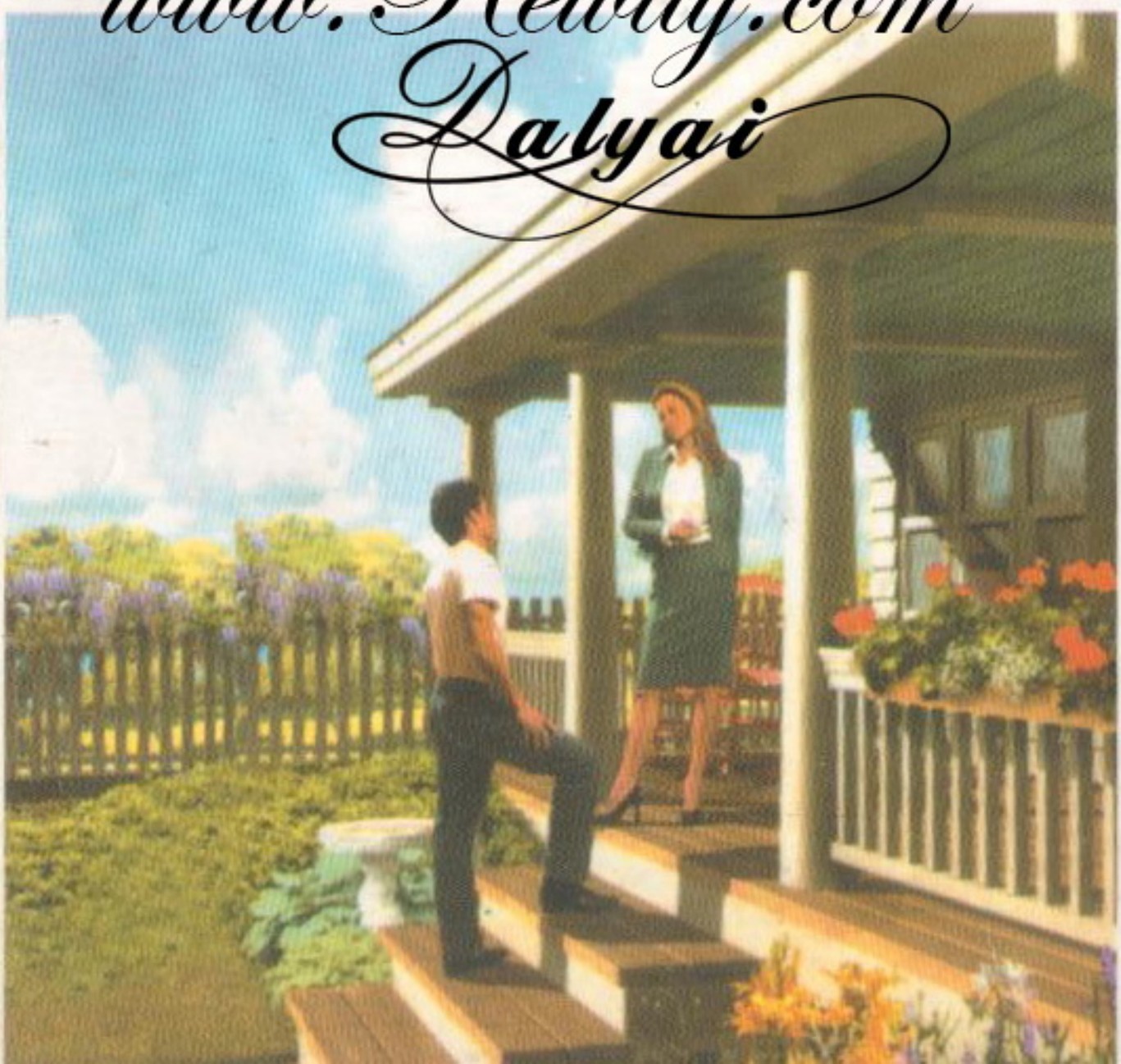

... ثم عاد الأمس

صدمت مارشا حين رأت ثانية زوجها الذي فرت منه إلى غير رجعة. كان تايلور يخدعها طوال الوقت. ومع هذا راحت تقاوم بيأس حين وقعت عيناها عليه كي لا تنجرف ثانية إليه وتقع مجدداً فريسة تأثيره عليها.

ماذا عليها أن تفعل، وإذا بالجواب يوافيها.. لا شيء! لن تفعلي شيئاً.. هو لم يعد في حياتك ولا يمكنه أن يسبب لك أي ضرر. ولكن إذا كان هذا صحيحاً، لماذا تشعر وكأن العالم انهار من حولها، ذلك العالم الذي أنشأته بعناية بالغة في الأشهر الأخيرة!

وجاءها الجواب مرة أخرى، إنها لم تنسه! لا يمكن أن تنسى شخصاً مثل تايلور. كل ما هناك أنها اعتادت العيش مع الألم.

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10درهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-15-260-8

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول. آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The Passionate Husband
First published in Great Britain 2004
Harlequin Mills & Boon Limited
© Helen Brooks 2004
Translation © Dar El-Farasha - 2005
ISBN 9953 - 15 - 260 - 8

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - ستر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي

بكل إخلاص
أسرة أحلام

Dalyia www.Rewity.com

هيلين بروكس

تعيش هيلين بروكس في (نورثامبتون شير) وهي متزوجة وأم لثلاثة أولاد. أوقات فراغها نادرة جداً، فهي متدينة ملتزمة وربة منزل منهمكة وأم مثالية. لكن هواياتها تشمل القراءة والسباحة والاهتمام بالحديقة والسير مع كلابها الصغيرة النشيطة التي تحبها كثيراً. حققت حلمها بالكتابة في سن الأربعين، وأرسلت أول إنتاج لها إلى (ميلز أند بونز).

١ ـ انت لي

ـ أراهن على أنك الوحيدة في الغرفة التي لم تلاحظ ذلك الرجل الرائع برفقة تلك المتسلطة، أليس كذلك؟

ـ ماذا؟

ورفعت مارشا عينيها الخضراوين مجفلة، فتنهدت الفتاة الممتلئة الجسم الصغيرة الحجم الواقفة أمامها، باستسلام: «أعرف ذلك... كل المكان يضج فضولاً بينما أنت معنا هادئة كالعادة».

ـ بيكي... أنت تعلمين أكثر من أي شخص آخر أنني بحاجة إلى وقائع لأجل برنامج باكستر لاجتماع الغد. وبصفتك سكرتيرتي...

قالت مارشا هذا بصبر وهي ترفع كأس المياه المعدنية إلى شفتيها فقاطعتها بيكي: «أنا أتحدث بصفتي صديقتك وليس سكرتيرتك. ومن المفترض أن يكون هذا «لقاء» احتفالياً كمكافأة لعملنا الشاق وأنت الوحيدة التي لا تستغل فرصة الطعام والشراب المجاني».

فأجابت مارشا: «أفضل أن أقوم بعملي صافية الذهن».

ـ آه، ولكن لا يفترض بك أن تعملي الآن. من النادر جداً أن يعترف ذوو السلطة بعظمة الفريق الذي يعاونهم، أفلا تأخذين عدة دقائق تستمتعين فيها بهذه المناسبة؟

تنهدت مارشا مستسلمة. عندما تصرّ بيكي على شيء تصبح عنيدة، وهذا ما جعلها سكرتيرة ممتازة من بعض النواحي، لكنها، أيضاً،

Dalyia www.Rewity.com

مزعجة من نواحٍ أخرى.

وبيكي تكبرها بثلاث سنوات فقط، فهي في الثلاثين، وهي رزينة وقور معظم الوقت، كما أنها وفية جديرة بالثقة وعاملة مجدة ومحافظة، ومارشا تعد نفسها محظوظة بوجودها معها في عالم التلفزيون، في الدائرة التي قررت أن تجعلها مهنتها.

ـ لا بأس! أنت انتصرت.

ـ عظيم.

وأشرق وجه بيكي المستدير الجميل بالابتسام وهي تنظر إلى المرأة الرشيقة الرقيقة الجالسة على أريكة في زاوية هادئة من الغرفة الصاخبة.

ـ أظنك ستغادرين مخبأك.

ـ ليس مخبأ يا بيكي.

قالت مارشا هذا بجفاء. ثم وقفت وهي تكبح آهة، وتسوي خصلة من شعرها الأشقر تبعدها عن وجهها ثم تتبع بيكي إلى حيث يموج الحشد ويتعالى الضجيج، فكانت أحاديثهم ترتفع وتنخفض طوال الساعة الأخيرة.

وقالت مارشا وهي تنظر في أنحاء الغرفة المزدحمة: «أين إذن ذلك الرجل الرائع؟ لا أظن بينيلوب أكلته؟».

بينيلوب بلهام هي المديرة التنفيذية في محطة التلفزيون التي يشتغلون فيها، قد اكتسبت عن جدارة سمعة بالقسوة في كل مجال في حياتها. وكان معروفاً أن التماس الشهامة والرحمة منها أشبه بالتماسه من سمكة القرش.

تقول الأقاويل إنها تأكل الرجال وتلفظهم من فمها كما تلفظ أي موظف يشاء له سوء حظه أن يصطدم بطباعها السيئة.

لم يحدث قط أن اصطدمت مارشا مع تلك السمراء الرائعة الجمال منذ أن ابتدأت العمل في تلك الشركة التلفزيونية منذ عام، لكن ذلك لا يعني أنها ليست حذرة منها. فقد كانت بينيلوب قوية السلطة والنفوذ، وقوة شخصيتها المسيطرة بالغة.

ـ تقول جاني إنهما تواريا في مكتب بينيلوب بعد تعليمات حازمة من السيدة نفسها بألا يزعجها أحد. لأول مرة أتفق مع بينيلوب على شيء. فلو وقعت على رجل مثل هذا، لاختليت به ما استطعت من الوقت.

ونظرت بيكي بخبث فضحكت مارشا.

ـ تعالي وكلي شيئاً.

راحت بيكي تدفعها إلى مقصف في نهاية الغرفة، وعندما رأت المائدة الشهية، شعرت بالجوع البالغ.

ـ آه، أنا أعشق «الكباب»، وأنت؟ وفطيرة الفاكهة. انظري إلى تلك الحلوى.

كانت بيكي تقول هذا وهي تملأ طبقها. وكانت قد أنشأت صداقة وطيدة مع جاني سكرتيرة بينيلوب عندما ابتدأت هذه العمل في الشركة منذ ستة أشهر، باعتبار أن ليس بالإمكان الظفر بأصدقاء كثيرين في مراكز عالية، ولم تكن مارشا واثقة من صواب هذه النظرية الوصولية. ولكن كان من المفيد دون شك أن يكون لديها سكرتيرة يمكنها تتبع الأحداث ولو عن طريق غير مباشر.

سألتها مارشا: «أظنك سألت جاني عن ذلك الرجل الرائع».

فأجابت بيكي وهي تلعق شفتيها بعد المقبلات بتلذذ: «نعم، لكنها لا تعرف شيئاً».

أومأت مارشا برأسها. كان بإمكانها أن تقول، صادقة، إنها لا تهتم

Dalyia www.Rewity.com

بصديق بينيلوب الجديد، لكنها لم تشأ أن تؤذي مشاعر بيكي. وسكرتيرتها سعيدة بزواجها منذ اثنتي عشرة سنة من حبيب طفولتها، لكن ذلك لم يمنع بيكي من أن تكون مدمنة على الروايات والأفلام العاطفية.

وكانت مارشا تعلم أنها خيبت أملها عندما أوضحت بأنها لا تهتم بالجنس الآخر. وسارعت تنفي اهتمامها بجنس النساء أيضاً بعد أن رأت التعبير الذي بدا على وجه بيكي، قائلة إنها تهتم بعملها فقط.

وبعد ذلك بعدة أشهر، كانت المرأتان قد أصبحتا صديقتين عدا عن زميلتين في العمل، فاعترفت مارشا بأن موقفها هذا يتعلق برجل عرفته في حياتها، دون أن تصرح بأكثر من ذلك. ولم تأت بيكي على الموضوع بعد ذلك وهي المعروفة بإلحاحها مكتفية بالإشارة إلى أن الجميع معرّض للفشل في حياته العاطفية. وغالباً ما تواجه مارشا مواقف كهذه بالصمت أو بتغيير الموضوع.

وقالت لها بيكي مفكرة: «كيف تأكلين بهذا الشكل دون أن يزداد وزنك؟ هذا ليس عدلاً».

- لأنني لم أتناول الغداء.

ردت عليها مارشا برقة. كان دُرج مكتب بيكي مليئاً دائماً بالحلوى والسكاكر. هذا عدا عن شطائر السجق التي تأكلها قبل الظهر، والبسكويت والكاتو عند العصر.

وقالت بيكي ضاحكة: «يا ليت الجميع يتمتع بحكمتك! لكنني أحب الطعام ولا يمكنني مقاومته، ولا مقاومة الشكولا. هل تفهمين ما أعني؟».

- لم تكترث مارشا قط للشوكولا، أما المثلجات فشيء آخر.

فأعرف أن بإمكانها أن تأكل ربع كيلو منها في جلسة واحدة.

جاء هذا الصوت العميق الهادىء من خلفها، وما إن التفتت مارشا بسرعة حتى رأت ملامح ذلك الرجل الطويل الواقف مع بينيلوب وكأنها قدت من الصوان. أما التواء زاويتي فمه فكان يبدو لمن لا يعرفه شبه ابتسامة. ولكن مارشا كانت تعرفه، وجاهدت للتحكم في نفسها كيلا تتلعثم وهي تقول: «يا لها من مفاجأة، يا تايلور!».

كانت عيناه البنيتان الكثيفتا الأهداب مسمرتين على وجهها المصدوم: «نعم، أليس كذلك؟ لكنها... بالنسبة لي، مفاجأة سارة».

- يبدو أنكما سبق وتعارفتما.

قالت بينيلوب هذا بعذوبة، وبابتسامة زائفة لا تنعكس في عينيها الزرقاوين ولاحظت مارشا كيف اشتدت يد المرأة على ذراع تايلور بخوف غريزي يفصح عن معانٍ كثيرة.

تنفست بعمق واعتدلت في جلستها. هكذا إذن؟ ولكن أما كان المفروض أن تتوقع أمراً كهذا بالنسبة إلى سمعته المشينة؟

وقالت بلهجة تبرّر بها الموضوع: «لقد تعارفنا ذات مرة، منذ وقت طويل، والآن أرجو المعذرة. لدي عمل أريد أن أنهيه..».

- ذات مرة؟ آه، هيا يا مارشا. أتريدين أن يعتقد هؤلاء الناس الطيبين بأننا تقابلنا مرة... بدلاً من أن يعرفوا أننا رجل وزوجته؟

فتحت بيكي فمها ذاهلة فبدت هزلية المنظر. ولكن لم ينظر إليها أحد.

كما اتسعت عينا مارشا الخضراوين الصافيتان لدرجة لا تكاد تلحظ، رغم حديثها لنفسها بأنها كان عليها أن تتوقع هذا، فتايلور ما زال على حاله، وهو لن يسكت عن تبذها له بهذا الشكل. ونبض وريد

Dalyia www.Rewity.com

في صدغها، لكنها قالت بصوت هادىء: «الوداع يا تايلور».

- هل كنت متزوجة؟

في أي ظروف أخرى كانت مارشا تستمتع بمظهر الذهول البالغ في عيني بينيلوب الثلجيتين.

- لم تكن كذلك يا بينيلوب، بل هي كذلك. إن مارشا هي زوجتي.

وكان صوته يماثل صوت مارشا هدوءاً. لكن لهجته الفولاذية كانت صارمة: «مارشا هي زوجتي».

- حتى يتم الطلاق. وكان ذلك سيتم منذ وقت طويل لو سار الأمر حسب رغبتي.

وارتفع صوتها قليلاً فلفت إليها انتباه واحد أو اثنين من حولهم من الذين لاحظوا الغضب ولم يدركوا السبب.

- ولكن... شهرتك غوسلينغ، أليس كذلك؟

كانت بينيلوب تحدق إليها وكأنها لم ترها من قبل.

ولكن بالرغم من هول الموقف، كان في لهجتها شعور ضئيل بالرضى لقدرتها على الجواب: «غوسلينغ هي شهرتي قبل الزواج. هيئة الموظفين تعلم وضعي الاجتماعي... رغم أنه مؤقت».

ورمقت الرجل الأسمر الطويل الواقف بجانب بينيلوب بنظرة مرّة: «لكنني عندما قلت لهم إنني أفضّل أن أدعى الآنسة غوسلينغ في مسيرة حياتي اليومية، لم يعترضوا».

فقالت بينيلوب بصوت كالثلج: «هذا خروج على النظام... كان عليهم أن يخبروني».

بإمكان مارشا أن تقول إن رئيسها المباشر جيف نورث يعلم بالأمر، لكنها لم تشأ أن تدخل في نقاش مع بينيلوب، بينما تايلور واقف وعيناه

مسمرتان على وجهها.

النظرة الخاطفة التي ألقتها عليه أنبأتها بأنه ما زال مهلكاً بجاذبيته شأنه دوماً. وسامته لم تكن كلاسيكية أبداً، بل هو فياض الرجولة ذو ملامح خشنة صلبة وعينين بنيتين وشعر كثيف أسود ووجه قوي خشن يقوم فوق جسد يماثله قوة ونشاط، ما يجعل النساء يلتفتن إليه أينما ذهب، وأكثر من مرة ومرات.

هذه الفكرة الأخيرة جعلت صوت مارشا أشبه بصوت بينيلوب برودة وهي تقول: «والآن، أرجو المعذرة».

ثم تركتهم من دون أن تلقي نظرة واحدة إلى الخلف.

لم تلحظ مارشا مدى ارتجاف يديها الا بعد أن دخلت المصعد وضغطت الزر إلى الطابق الثالث. ثم استندت إلى جداره وهو يصعد بها، شاعرة بالغثيان. تايلور... هذا... ماذا عليها أن تفعل؟

وإذا بالجواب يوافيها وكأنه من مكان خارج نفسها... لا شيء! لن تفعلي شيئاً، لأن لا شيء تغير عما كان عليه هذا الصباح. هو لم يعد في حياتك ولا يمكنه أن يسبب لك أي ضرر.

ولكن إذا كان هذا صحيحاً، لماذا تشعر الآن وكأن العالم انهار من حولها؟ ذلك العالم الذي أنشأته حولها بعناية بالغة في الأشهر الأخيرة؟

وجاءها الجواب مرة أخرى: بسبب الصدمة لرؤيته فقد كانت شيئاً مفاجئاً لم تستعدي له، ولكن هذا لا يعني أنك لم تنسيه.

توقف المصعد ثم عاد بابه يفتح، لكنها وقفت لحظة تحدق أمامها بجمود... إنها لم تنسه! لا يمكن أن تنسى شخصاً مثل تايلور وإنما اعتادت العيش مع الألم.

هذا يكفي!... قالت هذا بصوت مرتفع وقد هبّ لخبرتها

Dalyia www.Rewity.com

الشجاعة واحترام النفس اللذان جعلاها قادرة على نسيانه. لا بكاء ولا نحيب! . . . لقد ذرفت من الدموع ما يكفي حتى الآن.

عندما أصبحت في مكتبها الذي تشاركها فيه بيكي، ويفصله عن مكتب رئيسها جيف نورث باب داخلي، جلست خلف مكتبها. لماذا تايلور هنا بين كل الأماكن التي في العالم؟ وهل هو عشيق بينيلوب الجديد؟ سببت هذه الفكرة موجة من الألم وضعتها بعيداً عن عقلها الواعي لتفكر فيها فيما بعد، في بيتها. أما هنا فعليها أن تخرج من هذا المكان مصانة الكرامة وستفعل ذلك مهما كلف الأمر.

وفي تلك اللحظة، أدركت أنها تركت حقيبة يدها مع الأوراق التي بحوزتها في الطابق الأسفل تمتمت بشتيمة لا تليق بامرأة وهي تميل إلى الخلف في جلستها وتغمض عينيها لحظة. عظيم، عظيم جداً! عليها الآن أن تعود وتستعيد كل شيء، ما سيهدم كلياً خروجها المهذب الذي قامت به لتوها.

فتحت عينيها فجأة لدى سماعها وقع خطوات وتصلب ظهرها، ولكن بيكي هي التي ظهرت بالباب، وكانت تمسك بملف باكستر وحقيبة يد مارشا

- تقريباً شكراً!

وابتسمت بضعف

- كل هذا في يوم عمل!

كانت مارشا تتوقع أن تنهال بيكي عليها بالأسئلة ولكن عندما جلست هذه إلى مكتبها وابتدأت تنظم أوراقها استعداداً للخروج، كل ما قالته هو «بالمناسبة لقد ذهبت بينيلوب وزوجه. . وهو».

- لا بأس!

ستحدثها عن هذا غداً، لكنها لن تستطيع مواجهة ذلك الليلة: «أنا خارجة أيضاً. سنتحدث في الصباح يا بيكي»

ونهضت وتناولت سترتها. كانت تتكلم بلهجة الرئيس والمرؤوس، الأمر الذي نادراً ما كانت مارشا تستعمله، لكنها، إذا استعملته، كانت بيكي تفهم الإشارة.

وفي المصعد، أخذت الوساوس تراود مارشا، ماذا لو كانت بيكي مخطئة ووجدت تايلور ينتظرها في ردهة الاستقبال؟ هي لا تستبعد أن يفعل تايلور ذلك، لا تستبعد أي شيء من تايلور كين.

كانت منطقة الاستقبال أشبه بمستشفى مجانين في مثل هذا الوقت من الليل، لكنها، الآن، خالية من تايلور، وهذا ما كانت مارشا ترجوه. أجابت على عدة تحيات، ورفعت يدها مودعة الحارس بوب الذي كانت دوماً تتبادل معه الحديث حين تتأخر في عملها ويكون المكان هادئاً. وكان قد حدثها عن أولاده الستة الذين انحرفوا جميعاً عن الطريق المستقيم كل في طريق، ما جعله وزوجته التي عانت طويلاً، أشبه بالمجانين. لكن مارشا شعرت الليلة بالرغبة في ترك المكان بسرعة. وعندما أصبحت في الشارع، في دفء شهر حزيران، أخذت تنظر حولها، وما لبثت أن تنفست الصعداء. كان المارة مسرعين في سيرهم أو يتكلمون على هواتفهم الخليوية. والسائقون ثائرو الأعصاب يضغطون على أبواق سياراتهم، وبعض المارة يخاطرون بحياتهم وهم يقطعون الطرق غير عابئين بإشارة السير. وبالإجمال كان المساء طبيعياً تماماً.

كان الجو حاراً بالنسبة إلى السترة التي ارتدتها هذا الصباح فوضعتها على ذراعها متجهة إلى «كينزينغتن». لسبب ما، لن تستطيع أن

Dalyia www.Rewity.com

تواجه هذه الليلة زحام الباص أو القطار. الوصول إلى شقتها الصغيرة سيأخذ منها بعض الوقت، لكن السير في «الحديقة الهولندية» كان ساراً في أمسية كهذه كما أنها بحاجة إلى وقت تجمع فيه أفكارها ومشاعرها. وغضّت أنفها لهذه الفكرة منذ متى كانت تستطيع أن تفكر في مشاعرها نحو تايلور؟

- تملكني شعور بأنك ستتمشين.

قفز قلبها لهذا الصوت بجانبها، وفي هذه اللحظة علمت بأنها كانت تتوقع رؤيته لم تلتفت، وسرّها أن صوتها كان هادئاً وهي تقول: «أنت ماهر»

- كيف حالك يا «فار»

ناداها بالاسم الذي يدللها به ما جعل قلبها يترنح قبل أن تتحكم في ضعفها

كان دائماً يهمس باسمها هذا بلهجة عاطفية تجعل ركبتيها تتخلخلان. لكن ذلك كان حينذاك، وليس الآن. وقالت بلهجة متوترة: «لا تنادني بهذا الاسم»

- لماذا؟ كنت تحبينه!

جعلتها غطرسته ترفع إليه عينين غاضبتين لتتشابكا مع نظرته... فأدركت على الفور بأن ذلك كان غلطة.

كان قريباً جداً منها، حتى إنها استطاعت أن ترى أخاديد بشرة وجهه السمراء وخطوط الضحك في زاويتي عينيه.. حبست أنفاسها وقالت «أنا مسرورة لأنك استعملت الفعل الماضي في كلامك».

فهز كتفيه ببساطة حسدته عليها: «الماضي والحاضر والمستقبل الشيء نفسه أنت لي، أصبحت لي منذ اللحظة

التي تقابلنا فيها أول مرة».

مضت لحظة كان فيها الحافز لأن تضربه قوياً إلى حد أذهلها. لكن تأثير ذلك كان أشبه بدلو ماء بارد ينسكب على غضبها الحار. أمثاله من الرجال لا يتغيرون أبداً.

وهي تعلم ذلك فلماذا تتوقع اختلاف الأمر؟ كل ما يتعلق بتايلور يوحي بالثراء والسلطة غير المحدودة. لقد تزوجته عالمة بخطورته، ومع هذا كانت ترجو أن تستولي على قلبه، لكنها كانت مخطئة.

- لا أظن ذلك يا تايلور. ستنطلق قريباً وهذه هي نهاية الطريق.

- أتظنين أن قطعة من الورق ستشكل فرقاً؟

وشدّ ذراعها يوقفها، ثم يحيطها بذراعيه: «على هذا الكلام الفارغ أن يتوقف، هل تفهمين؟ لقد نفد صبري».

طول قامته وعرضها أظهراها قزمة إلى جانبه كما أن عطره المألوف المثير للأحاسيس، جعل حواسها تدور. سيطرة، سيطرة، سيطرة! كان هو استاذاً في ذلك... وقد عرفت ذلك أشد معرفة خلال أشهر انفصالهما الأليمة، وهي لا تستطيع أن تدع كل ذلك العذاب يذهب هدراً. تجاهلت الشوق للارتماء على صدره الصلب، وقالت بدلاً من ذلك: «وعني اذهب وإلا صرخت بأعلى صوتي، أنا أعني ذلك».

- اصرخي.

قال هذا بتكاسل، لكنها رأت عينيه تضيقان وفمه يتوتر فأدركت أنها سجلت هدفاً.

جمدت مكانها وهي ما زالت بين ذراعيه وعيناها تلمعان. وبعد لحظة طويلة تركها قائلاً: «أما زلت غير مستعدة للإصغاء إلى العقل؟»

- العقل؟

Dalyia www.Rewity.com

أطلقت ضحكة ساخرة وهي تتراجع خطوة فتدوس على أصابع رجل مسكين دون أن ينتبه أحد إلى صرخته المختنقة.

ـ نعم! العقل! العقل والمنطق وحسن تقدير الأمور... كل تلك الأمور التي يبدو أنها تنقصك.

صرفت بأسنانها لحظة. إنه الوحيد في العالم الذي يمكنه أن يثير جنونها في لحظة: «تفسيرك للعقل والمنطق يختلف عن تفسيري. أنا أستعمل قاموس أكسفورد».

ـ ماذا يعني هذا؟

ـ يعني أنني لا أتفق مع تفسيرك عن العقل الذي يعني نظام حياة مشوش، والمنطق الذي يقول إنك تبدأ بالقلق حينما يبدأون بانتقادك.

تأمل وجهها الجامد المتمرد، وعيناه البنيتان الرائعتان تلمعان في وجهه الأسمر. وبعد لحظة خالتها دهراً، قال بنعومة: «فهمت».

بادلته التحديق، مصممة على ألا تدعه يرى أن جوابه الهادئ حال بينها وبين ما تريد قوله. إنها متزوجة من هذا الرجل منذ ثلاث سنوات، أمضت منها ثمانية عشر شهراً منفصلة عنه. ولكن لم يكن لديها فكرة عما ستكون عليه ردة فعله لما قالته، والذي لخص علاقتهما حقاً، كما فكرت بتعاسة، وكان أحد الأسباب التي جعلتها تتركه دون عودة على الإطلاق، ناهيك عن علاقته بالنساء الأخريات.

رفعت ذقنها قليلاً وقالت بصوت كالثلج: «حسناً، هذا يوفر عليّ التكرار».

فقال وكأنها لم تقل شيئاً: «تبدين رائعة بهذا المظهر العملي..».

وجالت عيناه فوق تفاصيل جسمها المستكينة داخل تنورة خضراء مستقيمة وبلوزة أبهت لوناً، ثم قال: «وما زلت تثيرين رغبة أي رجل».

تجاهلت الطريقة التي تجاوب بها جسدها مع المشاعر التي بدت على وجهه، مركزة على احتفاظها بهدوئها:

ـ لا تجرب سحرك عليّ، تايلور. أنا منيعة الآن.

ـ أحقاً؟ لا أصدق ذلك.

مد يده يزيح خصلة من شعرها إلى خلف أذنها، متباطئاً لحظة على عنقها، مطلقاً في كيانها سلسلة من الأحاسيس أدركت أنه شعر بها.

كرهته لغطرسته هذه وثقته البالغة في سيطرته على عقلها، وروحها وجسدها... وكبحت مرارتها، تخفيها حيث لا يمكن لعينيه الداهيتين أن تراها، وتنفست بعمق ثم قالت: «صدق ما شئت فهذا لم يعد يهمني. بعد شهر أو شهرين سنكون مطلقين حرين، و...».

ـ لن يحدث هذا الطلاق.

تجاهلت مقاطعته لها، راجية ألا تكون قد كشفت عن أن تحكمها في نفسها كان سطحياً للغاية، ثم أنهت حديثها بهدوء: «ويمكننا حينئذٍ أن نضع الماضي خلفنا».

فرفع حاجبيه: «أتظنين حقاً أنني سأدعك تتركينني إلى الأبد؟ أنت تعرفينني أكثر من ذلك».

ـ بل أنا لم أعرفك قط.

أجابته بسرعة بالغة، ثم أدركت غلطتها على الفور. عليها أن تبدو أمامه هادئة متزنة: «كما أنك أنت أيضاً لم تعرفني. كل منا كان يظن الآخر مختلفاً عن حقيقته. تلك كانت غلطتنا».

ـ غلطتنا؟ أنت اعترفت بأنك تخطئين أحياناً.

وازداد ارتفاع حاجبيه.

تمنت لو تلكمه على فكه. وتصلب عنقها وكتفاها لجهدها في

Dalyia www.Rewity.com

الحفاظ على اتزانها وكرامتها، وتغلبت على الرغبة في أن تمحو الابتسامة من وجهه. وعندما تأكدت من تمكنها من الكلام، قالت متصنعة العذوبة: «لم يعد لدي ما أقوله. الوداع يا تايلور».

واستدارت على عقبيها وهي تلفظ اسمه. لكنها لم تدرك أنه ما زال يسير بجانبها إلا بعد لحظة أو اثنتين.

- ماذا تفعل؟

- أرافقك إلى البيت.

- لا أريدك أن تفعل ذلك.

- لا بأس.

ولكن عندما تابعت سيرها رافعة الرأس وقلبها يخفق، ناداها قائلاً: «سآتي لآخذك في الثامنة. كوني مستعدة».

فاستدارت إليه: «ماذا؟»

وتسبب هذا في اصطدامها بامرأة في منتصف العمر. وعندما انتهت من الاعتذار، سارت إلى حيث كان تايلور واقفاً مشبكاً يديه فوق صدره ومستنداً إلى عمود النور، وسألته:

- هل أنت مجنون؟

فسألها ببراءة: «أنا؟ أنت التي صدمت تلك المرأة المسكينة».

- أنت تعرف ما أعنيه.

وحملقت فيه، متسائلة كيف نسيت مدى جاذبيته. الرجال ذوو الشعر الأسود الفاحم قليلون للغاية، لكن تايلور واحد منهم. ودوماً كان التناقض بين لوني شعره وعينيه لافتاً للنظر. وتابعت وهي تزيح جانباً هذه الأفكار الغدارة: «لا أنوي تناول العشاء معك، لا اليوم ولا الغد، ولا في أي يوم. نحن سنتطلق، بحق الله!».

ابتسم، فانحبست أنفاسها. لطالما كانت ابتسامته تؤثر عليها كما تؤثر أشعة الشمس الدافئة على البحر العاصف. ربما لأنه نادراً ما يبتسم، وهي ليست ابتسامات صادقة على أي حال: «ما الذي تخافينه إذن؟ إنها مجرد دعوة إلى العشاء معاً، ولم أقل إننا سننهي السهرة في أحضان بعضنا».

تسارعت خفقات قلبها وهي تتذكر ما معنى أن تكون في أحضان هذا الرجل. وأن يعانقها حتى النهاية... حتى يتمحي من ذهنها كل عقل أو منطق ولا يبقى سوى تايلور. لكن ذلك لم يكن حباً طبعاً! على الأقل كما تعنيه هذه الكلمة. الحب والزواج يعنيان الالتزام والولاء بالنسبة إليها. وأجابت وهي ترتجف: «أنا لست خائفة، فلا تكن سخيفاً».

- تعشي معي إذن، ما دمنا ما زلنا رجلاً وزوجة على الأقل، ألا يمكن أن نكون مهذبين؟

كانت عيناه تتفحصانها كما كان يفعل حين كانا معاً. لطالما كان ينظر إليها في اللحظات الهامة، وكأنه يريد أن يرى أعماقها.

طرفت بعينيها، محاولة التخلص من سحر عينيه، وتمسكت بعذر للرفض: «وماذا عن بينيلوب؟ أتراها لا تمانع؟»

- بينيلوب؟

كرر الاسم وكأن ليس لديه فكرة عمن تكون، ثم قال بنعومة: «بينيلوب بلهام هي زميلة في العمل ليس إلا. إنني أقدم عرضاً لشراء تجهيزات صوتية جديدة وكمية من المعدات، وهي صلتي الوحيدة بأصحاب الشأن».

آه، نعم؟ من يخدع الآخر؟ كان واضحاً كعين الشمس أن بينيلوب معجبة بتايلور. ربما كانت «شركة كين الدولية» تقدمت فعلاً بعرض لبيع

Dalyia www.Rewity.com

المعدات الصوتية الجديدة التي يعلمون جميعاً بحيازة الشركة لها. ولكن إذا فازت بذلك شركة تايلور، فسيكون ذلك لأنه يكون قد قدم برهاناً على أن أجهزته هي الأفضل.

وعادت مارشا تطرف بعينيها. تلك الفكرة الأخيرة ليست من عادتها... بل هي عادة تايلور نفسه. فكرت بذلك بضيق ثم قالت:

ـ لا أظن العشاء فكرة حسنة.

قالت هذا بحزم، فأجاب بحزم أكثر: «بل هي فكرة ممتازة».

فنظرت إليه بعنف: «أنا أحاول أن أقول (لا)، بشكل حسن».

ـ حاولي أن تقولي (نعم) بشكل سيء.

كان من القرب منها بحيث لفحت أنفاسه الحارة شعرها الحريري. وللحظة شعرت بلهفة إلى أن تشمه وتتحسسه، وبدلاً من ذلك، دفعتها حرارة مشاعرها إلى القول باضطراب: «قد يدهشك قولي، يا تايلور كين، ولكن لا يمكنك أن تحصل دوماً على ما تريد».

ـ لا، ليس دوماً. ولكن هذه الليلة ليست واحدة من تلك الليالي. وإذا تظاهرت بالخجل، فسأحطم الباب.

تملكتها الدهشة عندما استدار مبتعداً ما أخرسها نصف دقيقة ما لبثت بعدها أن نادته قائلة: «أنت لا تعرف عنواني».

التفت إليها لحظة قال فيها: «منذ رحيلك وأنا أعرف كل شيء عنك».

ثم تابع طريقه بينما وقفت عاجزة عن التفكير.

٢ ـ عطر الذكريات

عندما فتحت مارشا باب الغرفة التي تسكنها بعد ذلك بوقت قصير، أدركت بانزعاج أنها لا تستطيع أن تتذكر لحظة من مسيرتها إلى البيت، إذ كان رأسها مليئاً بحديثها مع تايلور، خصوصاً افتراضه السخيف أنها ستتعشى معه.

كانت غرفتها على سطح مبنى من ثلاثة طوابق تحيط به شرفة أرضية، وأثناء العام الذي أمضته مارشا فيها، جعلتها فردوسها، بعيداً عن ضغط العمل والإثارة في حياتها العملية.

وقفت على العتبة لحظة تنظر في أنحاء الغرفة، وكالعادة شعرت بالسرور.

عندما رأت الغرفة للمرة الأولى، كانت الفوضى تعمّ المكان، فقد كان من الواضح أن الطالبتين اللتين كانتا تسكنان هنا قبلها لم تريا في حياتهما الصابون والماء أو أي مادة للتنظيف. وهكذا بقيت أياماً تفرك وتنظف، إلى أن ابتدأت أخيراً تفكر في الطلاء والديكور، وذلك بعد تفكير عميق في ما تريده.

دهنت الغرفة باللونين الأبيض والسمني وكانا منسجمين معاً ومع درجات ألوان خشب الأرض المختلفة، وعلقت ستائر مناسبة تمتد من السقف حتى الأرض.

الأريكة الصغيرة وزاوية النوم كان يفصلهما عن المطبخ حاجز

Dalyia www.Rewity.com

زجاجي جميل، كانت السيدة تيت كولنز، صاحبة البيت التي تعيش في القبو مع قططها الثلاثة قد ركّبت مثله في كل من الغرف الثلاث.

كما أنها صممت على إعداد غرفة بحمام دوش صغير للغاية في تجويف في الجدار ومغسلة صغيرة في الزاوية، وعندما اشترت مارشا أريكة تستعمل للنوم وتلفزيون وكرسيين لتناول الطعام تركت النزل الذي كانت تعيش فيه منذ انفصالها عن تايلور وانتقلت إلى بيتها الجديد حيث أضافت لمسات أخرى إلى الأريكة والوسائد والألوان.

لم يكن المطبخ يتسع إلا لثلاجة صغيرة للغاية وكذلك فرن صغير. لكن مارشا لم تهتم بصغر المساحة، فقد كانت هذه الغرفة الملاذ الذي ترتاح فيه. وهو مكان بإمكانها إقفاله في وجه العالم الخارجي متى شاءت.

أما شرفتها الصغيرة فهي تتسع لكرسي خيزراني واحد إضافة إلى بعض النباتات العطرة الرائحة، وفي الأشهر الدافئة كانت تمضي أغلب أوقاتها فيها، تقرأ أو تغفو أو تنظر إلى سطوح البيوت.

كانت تعشق بيتها، وسارت إلى نافذتيها تفتحهما لتدع شذا الأزهار يتدفق إلى الغرفة من الشرفة. الآن سيأتي تايلور إلى هنا، وهذا سيفسد كل شيء. لم تشأ أن يعرف مخبأها، لم تشأ أن يدخل حياتها!

ازدادت ضجة حركة السير الآتية من الشارع بعد أن فتحت النافذتين، وهي التي لم تكن تسمعها عادة. ووجدت نفسها تفكر في ما سيكون عليه رأي تايلور في غرفتها هذه بينما مساحة المدخل في بيته الجميل الكائن في أرقى أحياء المدينة تعادل مساحة سكنها كله هنا.

وقالت بصوت مرتفع: «لا يهمني رأيه، ولا شيء يرغمني على الخروج معه إلى العشاء الليلة».

وسارت إلى المطبخ حيث أعدّت لنفسها كوباً من الكاكاو حملته إلى الشرفة وجلست وهي تتنهد على الكرسي تنظر إلى الفضاء مقطبة الجبين.

بعد ذلك بنصف بساعة، اغتسلت ولفّت شعرها بمنشفة، ثم فتحت خزانتها تتفحص محتوياتها.

ستذهب معه إلى العشاء فقط لتتجنب ثورة غضب بينهما، كما أخذت تقنع نفسها بصمت. هذه الثورة التي سيقوم بها حتماً إذا لم يحصل على ما يريد. لكن خروجها هذه المرة معه سيكون الأخير وستعلمه بكل وضوح وحزم بأنها تعدّ الأيام حتى يحين الطلاق ويفترقا إلى الأبد.

أخرجت من الخزانة بنطلوناً ناعماً فضي اللون مع سترة حريرية خضراء كانت قد اشترتهما لتحضر بهما حفلة كوكتيل منذ شهر، فوضعتهما على مسند الأريكة ثم سارت إلى مرآة الخزانة حيث أخذت تحدق في صورتها مدة طويلة.

كيف يخطر لتايلور، ولو لجزء من الثانية، أن ثمة أملاً بينهما للعودة إلى بعضهما البعض بعد ما فعله؟ ولكن، من ناحية أخرى، هي التي هجرت تايلور وليس العكس ولعل هذا ما لم يحتمله لأنه لم يعتد أن تهجره امرأة فهو من يهجرهن. وربما هذا ما جعل كرامته تنتفض فيظن أن بإمكانه أن يحصل على المرأة التي يريد.

الفكرة الأخيرة جعلت شفتيها تتوتران وهي تتصور تلك المرأة المثيرة ذات الشعر الأحمر تانيا وست التي قالت عنها سوزان، شقيقة تايلور، إنها ليست العابثة الأولى التي أطلق لنفسه معها العنان منذ زواجه.

Dalyia www.Rewity.com

أخذت تجفف شعرها، منكرة طول الوقت الألم والغضب اللذين أثارهما في نفسها التفكير في تلك الفتاة.

بقيت تنكر ذلك حتى سمعت رنين الهاتف الداخلي عند الباب بعد أربعين دقيقة، فضغطت الزر لتسمع صوت تايلور فقالت له: «سأنزل بعد لحظة».

لم تفتح باب المبنى، مصممة على أن يظن ما يشاء.

نظرتها الأخيرة إلى المرآة طمأنتها بأنها تبدو هادئة متزنة، بعكس خفقان قلبها السريع. فدعت الله أن يبقى هذا الوهم مسيطراً طوال مدة بقائها مع تايلور. عليه أن يفهم أنها لم تعد تلك الحمقاء الساذجة المسلوبة العقل به التي لم تر ما كان يجري تحت أنفها. لقد ظنت أنه تقبّل ذلك عندما تركته منذ عام ونصف ورفضت أن تراه، خصوصاً بعد أن علمت أن محاميه لم يعترض على قضية الطلاق التي رفعتها ضده.

أقفلت باب غرفتها ثم نزلت السلم على مهل خشية أن تتعثر بالحذاء ذي الكعب العالي الذي تنتعله. وعندما وصلت إلى الطابق الأسفل سمعت صوت تايلور يتحدث إلى شخص داخل المنزل. أحدهم أدخله إلى الردهة. جمدت لحظة على السلم وأرهفت أذنيها لتسمع من كان يتحدث إليه.

إنها السيدة تيت كولنز صاحبة الملك. ورفعت مارشا عينيها إلى السماء مستجيرة. كانت صاحبة الملك عجوزاً ودودة حقاً لكنها تنتمي إلى عصر غابر كان الرجل فيه شهماً نبيلاً والمرأة خاضعة ملامة مهما فعلت، وكانت السيدة تيت كولنز أخبرتها مرة عن نشأتها المميزة وثقافتها الخاصة في البيت. وعندما قالت مارشا إنها نشأت في ملجأ للأطفال عندما هجرتها أمها الأرملة وهي الثانية من عمرها، حملقت

فيها صاحبة الملك وكأنها مخلوقة من كوكب آخر، ولكن كان واضحاً أن المرأة كانت قاصرة عن فهم وضع كهذا. ولن تعرف مارشا كيف ستواجه السيدة تيت كولنز معرفتها بأن الآنسة غوسلينغ هي السيدة كين.

ـ آه، ها هي ذي يا سيد كين وهي تبدو جميلة جداً.

هتفت السيدة تيت كولنز بذلك عندما رأت مارشا، فشكرتها هذه بابتسامة باردة استحالت ثلجاً عندما التفتت إلى تايلور: «أخبرتك بأنني آتية حالاً. لم يكن بك حاجة إلى الدخول».

سبقت السيدة تيت كولنز تايلور إلى الجواب: «كنت خارجة من منزل الآنسة غوردون عندما رأيت صديقك الشاب يرن جرس الباب».

ثم التفتت إلى تايلور: «إنها السيدة الساكنة في هذا الطابق. لقد سقطت المسكينة منذ أيام وهي الآن طريحة الفراش، لذا حملت إليها طبقاً من الحساء وقطعة خبز لكي أوفر عليها عناء إعداد العشاء. لقد تحسنت قليلاً، الحمد لله».

رأت مارشا تايلور يحدق في الوجه المغضن لهذه المرأة الذاوية الواقفة أمامه والتي تبدو في التسعين، لكن صوته كان جاداً تماماً عندما قال: «كان ذلك لطفاً منك، يا سيدة تيت كولنز».

ـ هل نذهب؟ إلى اللقاء يا سيدة تيت كولنز.

كان واضحاً أن تايلور لم يذكر أنهما زوجان وهذا ناسبها تماماً، وكانت مارشا متلهفة للخروج قبل أن تبدأ المرأة حديثاً آخر.

ـ آه، إلى اللقاء يا عزيزتي.

تأبطت مارشا ذراع تايلور بيد وفتحت الباب بيدها الأخرى، تدفعه إلى السلم فقال تايلور معلقاً: «ستظن أنك متلهفة للانفراد بي».

وعندما أصبحا في الشارع رفع تايلور حاجبيه هازلاً.

Dalyia www.Rewity.com

حتى هذه اللحظة نجحت في مقاومة الإقرار بروعته البالغة، ولكن عندما ارتفعت خفقات قلبها قالت بجفاء: «السيدة تيت كولنز لا تفكر بشيء مبتذل بهذا الشكل».

ـ أحقاً؟ ظننت أنني رأيتها تغمزك بشكل ذي معنى.

أي امرأة مهما كان سنها، ستفعل الشيء عينه عندما ترى تايلور، فتأثيره قوي على النساء. فقالت بجفاء: «لا أظن ذلك، وقبل أن تنطلق من هنا، أريد أن أوضح تماماً أنني وافقت على هذا الاجتماع مكرهة فقط لأنني أردت أن تسير مسألة الطلاق بأقل صعوبة ممكنة».

تأملها تايلور بصمت وجدية ثم قال بعد لحظة طويلة: «هل تشعرين الآن بتحسن بعد إفراغ ما بصدرك؟».

فهزت كتفيها: «أردتك فقط أن تعلم وهذا كل شيء».

قالت هذا متسائلة عما جعلها تشعر وكأنها تلميذة متمردة.

ـ صدقيني لم أشك لحظة في أن أهم مزاياك هي الدقة والصراحة. وهذا ما لا يمكن قوله عنه.

لم تتكلم ولكن لا بد أن الكلمات كانت واضحة على وجهها لأنه عاد فقال: «خصوصاً عندما لا تقولين شيئاً أبداً».

فسألت بشيء من الارتباك: «لماذا إذن نفعل هذا؟».

ذلك أنه لم يتصل بها منذ عام ونصف، فلماذا يتصل الآن والطلاق بعد أسابيع؟؟

ـ لأن الوقت حان لذلك.

لطالما كان هكذا... ماهراً في وضع الخطط المبهمة. منذ عرفته لأول مرة، أدركت أنه رجل غامض. لكنها ظنت أنها وجدت مفتاح ذلك عندما خطبها للزواج بعد أسابيع فقط من تعارفهما في حفلة عشاء، فظنته

يحبها كما تحبه... أو بالأحرى كما كانت تحبه.

كان الجو الدافىء يفوح برائحة الطهي من مختلف النوافذ المفتوحة، كما كانت الضحكات تتصاعد من المنازل القريبة. غضن تايلور أنفه قائلاً: «هل نذهب؟».

تمنت لو بإمكانها أن ترفض وتعود إلى منزلها ولكن حقاً لم يكن أمامها خيار. فأومأت وتركته يقودها إلى سيارته المنتظرة. كان في السنة والنصف الأخيرة قد غير طراز سيارته، كما لاحظت بصمت. رغم أنه اشترى السيارة السابقة قبل أن تتركه بستة أشهر فقط. وهذه السيارة كانت سوداء خطيرة... مثل تايلور تماماً.

فتح لها باب السيارة فدخلت برشاقة سرّت بها، وهي تفكر في ساقيها المرتجفتين ومعدتها المتشنجة. هذه هي المشكلة مع تايلور! كلما حاولت أن تستعد له إذا به يهزمها.

عندما جلس بقربها حدّقت إليه وكأن قربه منها لم يزعجها على الإطلاق: «إلى أين نحن ذاهبان».

ـ إنها مفاجأة.

لم ينظر إليها وهو يخرج بالسيارة من الموقف بمهارة. ووقع بصرها على محبس الزواج الذهبي السميك في إصبعه، وعاد قلبها يترنح. هل كان دوماً يلبسه، أم وضعه هذه الليلة فقط؟

ثم أجابت نفسها: وما أهمية ذلك على كل حال؟ فالمحبس يبقى مجرد قطعة مجوهرات عندما يفرغ من الالتزام الذي يمثله.

سارت السيارة بهما في شوارع لندن، مارة بعدد من المقاهي والحانات التي كان الناس يجلسون خارجها يشربون أو يأكلون تحت شمس الغروب. في الفترة الفاصلة بين تركها الجامعة وتعرفها إلى

Dalyia www.Rewity.com

تايلور، كانت مارشا تستمتع بقضاء أمسيات الصيف بهذه الطريقة مع أصدقائها.

ولكن منذ تحطم زواجها، لم تشأ العودة إلى مجموعة أصدقائها القديمة. بقيت ترى واحداً أو اثنين منهم أحياناً لكن الأمر لم يعد هو نفسه خصوصاً بالنسبة إليها.

كانوا لا يزالون يبحثون عن المرح وقضاء وقت ممتع. لكنها شعرت أنها اجتازت تلك المرحلة وليس بإمكانها العودة... ما دامت طبعاً، مازالت معتبرة متزوجة. وفكرت بمرارة في أنها ربما حمقاء نظراً لطريقة تايلور في التصرف، لكنها لا تستطيع أن تفعل مثله.

نظرت إلى يديها اللتين كانتا متوترتين في حجرها. وأرغمت أصابعها على الاسترخاء، متنفسة بعمق، تريد بذلك أن تجعل نبضها منتظماً.

ـ لا أحب المفاجآت.

قالت هذا بوضوح وكأن تايلور قال ذلك تلك اللحظة وليس منذ عشر دقائق... عشر دقائق من الصمت...

كانت نظراتها على زجاج السيارة الأمامي عندما ألقى نظرة على جانب وجهها المتوتر قائلاً: «هذا مؤسف».

وهو ينعطف بالسيارة.

ـ إذاً إلى أين نحن ذاهبان؟

ثم عرفت الجواب حين انعطفت السيارة مرة أخرى. كان يأخذها إلى بيتها... لا، لم يعد بيتها الآن. فقالت بقدر ما أمكنها من الهدوء: «أوقف السيارة من فضلك».

ـ لماذا؟

كانت لهجته من البراءة بحيث أدركت أنها على حق. فقالت بصوت متحجر: «لأنك أخبرتني بأنك ستأخذني لتناول العشاء».

ـ وأنا كذلك.

وأشار إلى بذلة العشاء التي يرتديها.

ـ تايلور!

وسكتت تحذر نفسها من أن يثور طبعها، ثم قالت بهدوء: «أنا أعرف أين نحن، نحن قريبان من حي هارو».

أومأ دون ندم على الإطلاق: «هذا صحيح. وحنة سعيدة جداً لأنك ستزورينا الليلة».

ستزورهم! هل هو مجنون؟ عندما فكرت في مدبرة منزله تلك التي أسبغت عليها حنان الأمومة منذ عرفتها، شعرت بغصة في حلقها. لكنها كبحت مشاعرها: «لا أنوي الذهاب إلى بيتك».

فأصبح صوته خطراً فجأة: «بل بيتنا... وإذا كان بإمكانك أن تنبذي الناس كما تفعلين فحنة لا تستطيع ذلك. رغم غضبك البالغ ذاك مني، إلا أنه ما كان يضرك لو كتبت لها سطراً أو رتبت معها موعداً في مكان ما. حتى اتصال هاتفي كان سينفع. كدت تحطمين قلبها».

لم تستطع احتمال ذلك. ألا يعلم أن كل ما يذكرها به، مهما كان ضئيلاً، كان ليحطمها في بداية انفصالهما؟

ولو رأت حنة، حينذاك، لانهارت كل محاولاتها لتكون قوية وتبدأ حياة جديدة. لقد اشتاقت إلى تلك المرأة التي كانت الأم الوحيدة التي عرفتها، بقدر شوقها إلى تايلور. وإذا بها في فورة اندفاعها العاطفي تنطق بالأمر الذي كان قد آلمها بقدر ما آلمتها خيانته لها مع ثانيا: «إذا كنت مهتماً بمشاعر حنة إلى هذا الحد، لماذا لم تتصل أنت بي بعد

Dalyia www.Rewity.com

رحيلي عن البيت؟ كم يلائمك أن تتحدث عن نبذ الناس!».

فقال وهو يرد شعره إلى الخلف بغضب بالغ:

- لا أصدق ما أسمعه منك! عدت من ألمانيا بعد قضائي ثلاثة أيام فيها، لأراك حزمت أمتعتك للرحيل. فانطلقت تتهمينني بأشياء الله وحده يعلمها. وعندما حاولت أن أجعلك تتعقلين، إذا بك تندفعين خارجة. تبعتك إلى سيارتك لأمنعك من الرحيل، فصفقت الباب على يدي حتى انكسرت فيها عدة عظام».

فقالت بسرعة: «حدث هذا بغير قصد، وقلت لك هذا حينذاك إذا كنت تتذكر. لم أكن أعلم أنك وضعت يدك في طريق الباب».

- لكن هذا لم يمنعك من تركي منطلقة بسيارتك، أليس كذلك؟

فتمالكت نفسها. إنه يعكس اللوم عليها وكأنها هي التي خانته:

«كانت حنة هناك لتعتني بك».

ثار غضبه وكأنه لم يتهمها لتوه بعدم الإحساس:

- تباً لحنة! لقد لحقتك بسيارتي إذا كنت تتذكرين. أنسيتِ ما قلته لي عندما وقفنا عند الإشارة؟ قلت إنني إذا لم أتوقف عن اللحاق بك، ستندفعين بسيارتك إلى الجدار. قولي إنك ما كنت تعنين ذلك.

لكنها كانت تعني ذلك. فقد كانت من اليأس والألم تلك الليلة بحيث شعرت بأن الموت سيكون راحة لها.

أومأ برأسه عابساً وكأنه قرأ أفكارها: «وهكذا تركتك ترحلين. قولي ما شئتِ، لكنني فضلت أن أراك حية على أن أراك ميتة».

- وقل ما شئت، لكنني لطالما ظننت الزواج بين اثنين وليس بين ثلاثة أو أكثر.

توتر فمه، لكن صوته كان هادئاً وهو يقول: «تانيا مجدداً!».

تجاهلت كلامه وهي تتابع: «لماذا لم تتصل بي بعد تلك الليلة؟»

- لم أتصل بك هاتفياً ربما ولكن ماذا عن الرسالة؟

- الرسالة؟

لم تتلق منه أي رسالة، ولم تصدق لحظة واحدة أنه أرسل إليها رسالة. مهما كانت لعبته، فهي لن تنخدع بها. وقال بضعف: «آه، هيا يا فاز. لا تدّعي أنك لم تتلقي رسالتي».

جعلتها لهجته تغلي غضباً، فقالت بحرارة: «أنا لا أدّعي شيئاً أبداً كما أنني لا أكذب. أنا لم أتلق رسالة، رغم أنني حتى لو تلقيتها لما اختلفت الأمور. كنت على علاقة بتانيا وست، وبأخريات قبلها. علمت ذلك من مصدر موثوق به. تشاركت مع تانيا بغرفة واحدة في ألمانيا حجزتها باسم السيد والسيدة كين. لا تكذب عليّ بالنسبة لهذا لأنني اتصلت بنفسي بالفندق لأتأكد من ذلك».

فقال وهو يصرف بأسنانه ويستدير حول منعطف بسرعة جعلتها توشك أن تصرخ: «تانيا كانت سكرتيرتي ولا شيء غير ذلك. والغرفة في ألمانيا حُجزت خطأ. أخذت هي السرير الكبير بينما أخذت أنا السرير الوحيد اللعين الذي كان في الفندق، وذلك بسبب المؤتمر. فبقيت ثلاث ليالي أنام في غرفة بسريرين مع سويدي ضخم يبدو كممثل لبلاده في رفع الأثقال، ويشخر كمولد كهربائي. لقد أخبرتك بهذا ليلة عودتي وكررته في رسالتي».

- لماذا إذن وصلوني بتانيا حين طلبت السيد كين ما يؤكد الغرفة المزدوجة؟

سألته بلهجة كالثلج رغم توتر أعصابها من طريقة قيادته سيارته.

- سبق وأخبرتك أن الغرفة حُجزت بطريق الخطأ. لقد تلطف

Dalyia www.Rewity.com

السويدي وسمح لي بمشاركته غرفته عندما طلب منه الفندق ذلك، لكن الغرفة كانت باسمه وليس باسمي. ربما موظفة الاستقبال التي سألتها أنت لم تكن على علم بما حدث. كان أحد أكبر المؤتمرات في السنة فكان صعباً العثور على غرفة أخرى.

لابد أنه يظنها ابنة البارحة!

ـ أنت لا تصدقينني! كتبت لك في تلك الرسالة أرقام الهاتف لتتصلي بها، وليس رقم الفندق فقط فكان لدي بطاقة ذلك الرجل السويدي. كما أنني وعدتك، بسبب تصرفك تلك الليلة في السيارة، بأنني لن أحاول إرغامك على رؤيتي قبل أن تستعدي نفسياً لذلك وتستعيدي ثقتك بي.

يا لوقاحته! حتى ولو كان ما قاله عن الحجز صحيحاً وهي لم تصدق ذلك لحظة! ثم ماذا عن علاقاته القصيرة الأخرى التي حدثتها شقيقته سوزان عنها؟ لقد اشترى تايلور الصمت من الناس، لكنه لم يستطع أن يشتري صمت سوزان. وسوزان هي صديقتها كما هي شقيقة زوجها. وما حدث في ألمانيا كان أكثر من أن تتجاهله تلك المرأة. لقد جعلتها سوزان تقسم على أن تبقي الأمر سراً، حينذاك، فلا تخبر تايلور بأنها هي التي أخبرتها بأمره. ذلك أن زوجها يعمل عنده ومعيشتهم متوقفة عليه. لقد بقيت سنة ونصفاً دون أن تخلف وعدها لسوزان وهي لن تفعل هذا الآن، رغم رغبتها القوية بذلك.

وتنفست بعمق: «إذا كنت تقول في رسالتك إنك لن تتصل بي قبل أن أصبح مستعدة للاعتذار والثقة بك، لماذا نحن هنا الآن؟ فأنا لا أثق بك يا تايلور، وأنا أفضل أن أسير على الجمر على أن أعتذر إليك».

تمتم بشيء بصوت منخفض ثم قال بحزم: «نحن هنا لأنني لن

أسمح لك بتحطيم حياتنا بسبب كبرياء حمقاء».

كبرياء؟ لو لم يكن مندفعاً بالسيارة بهذه السرعة، لوجهت لكمة إلى رأسه الأحمق. لكنها اكتفت بالقول بلهجة لاذعة: «أنا أنقذت حياتي، وهذا حسن، فتكلم عن حياتك فقط».

ـ لا أصدقك.

كانا الآن قد اقتربا من بيته فانتظرت حتى دخلا بالسيارة من البوابة وصعدا في طريق المنزل، ثم قالت: «هذه مشكلتك».

أوقف السيارة أمام الدرجات العريضة المؤدية إلى الباب الأمامي، فأرغمت مارشا نفسها على النظر حولها دون أن تظهر أن قلبها يتمزق. عندما رحلت نهائياً من هذا البيت، كانت على وشك الجنون من المرارة والألم، ولم تكن حتماً قادرة على قيادة سيارتها. وكانت ترجو لو حدث ورأت هذا البيت مرة أخرى، أن تكون قادرة على النظر إليه بقدر من السكينة في قلبها، لكن هذا لم يحدث. فقد تملكها نفس شعور التعاسة والأسى الذي تملكها حينذاك.

لم يجبها تايلور قبل أن يترجل من السيارة ثم يتقدم إلى بابها يفتحه ويمد لها يده. وعندما أمسكت بها ونزلت من السيارة، داعبت خياشيمها عطر أزهار اللافندر المحيطة بالمنزل، ما جعل ذكرياتها تتدفق.

لقد رافقها هذا العطر منذ أول زيارة لها إلى هذا البيت في موعدها الثاني مع تايلور، وكان يعطر لياليهما بعد الزواج من النوافذ المفتوحة على الحديقة، حتى الفجر.

الألم الذي شعرت به الآن لم يمحه احتكاك يديهما الذي أرسل آلاف الأحاسيس في جسمها، وما إن وقفت حتى سحبت يدها من يده.

Dalyia www.Rewity.com

قال وعيناه مسمرتان على وجهها الشاحب: «كنت تعشقين هذا المكان في موسم تفتح اللافندر».

تقابلت عيناها الخضراوان بعينيه البنيتين، كانت خطته أن يحضرها إلى هنا بعد أن يصبح الوضع صالحاً لأقصى درجات التأثير. رأت هذا في وجهه وإن لم يقله بلسانه.

فقالت له: «أنت أكثر الأشخاص الذين عرفتهم مكراً واحتيالاً».

ـ شكراً. أنت أيضاً.

فجأة انمحى من نفسها الغضب والازدراء ليتملكها حزن عميق وأسف على ما كان يمكن أن يكون لو أنه كان مختلفاً عما هو عليه أو لو كانت هي مختلفة. لو كانت متألقة ورائعة الجمال ومحنكة، كالمرأة التي كان يصاحبها قبل أن يتعرف إليها هي، ربما عند ذاك كان استمر بحبها ولما احتاج امرأة أخرى. ربما، حينذاك، كانت هي تكفيه.

لم تكن منتبهة إلى تعابير وجهها وشفتيها المتهدلتين... وهكذا عندما قال برقة فائقة: «أنا أريدك أن تعودي إليّ. لا أريد الطلاق»، حدقت إليه لحظة وقد انحبست أنفاسها للهجة الأمر الواقع في صوته. ثم تراجعت خطوة، متسعة العينين: «هذا... هذا مستحيل وأنت تعلم ذلك».

ـ لا. ليس مستحيلاً! سأخبر محامي أن يذهب إلى جهنم وافعلي أنت ذلك مع محاميك.

فقالت وهي ترتجف: «ولكن لم يتغير شيء».

فنظر إليها برزانة: «بالضبط».

ـ ما كنت أعنيه هو...

فقاطعها: «أنا أعرف ما كنت تعنيه. ما أعنيه هو أنني كنت مخلصاً

لك قبل رحيلك ووفياً بعده. لا نساء ولا امرأة بالذات».

وقفت جامدة رافعة الرأس وجسدها يتحدث بأكثر مما تستطيعه الكلمات.

وحدق إليها لحظة قال بعدها بهدوء: «عندما أكتشف من الذي همس في ذهنك ذلك الهراء، سيتمنى لو أنه لم يولد. من فعل هذا يا فاز؟ من الذي أراد أن يدمرنا بهذا الشكل الهائل فغذى عندك الشكوك والأوهام وانعدام الأمان الذي تخشينه؟»

ـ ماذا؟

ومدت يدها تستند إلى السيارة. لو صاح بها لتقبّلت ذلك بغير صعوبة، لكن تلك الرقة في صوته أخافتها حتى الموت: «لا أدري ما الذي تتحدث عنه. أنا لا أشعر بانعدام الأمان، كل ما في الأمر أنني لست من النساء اللاتي ينظرن بعين عمياء إلى...».

قاطعها بصوت فاتر فيه قسوة هي قريبة من طباعه.

ـ انعدام الأمن الذي تكوّن في نفسك عندما ألقت بك أمك بين أيدي الخدمات الإجتماعية. انعدام الأمن الذي نما في ذلك المكان اللعين الفظيع الذي نشأت فيه وجعلك ضعيفة عاطفياً. ذلك الذي غرس في أعماقك فكرة أن لا أحد يمكنه أن يحبك أو يرغب فيك أو يحتاجك. فلماذا يحبونك طالما أن أمك وهي الشخص الوحيد في العالم المفروض أن يحبك أكثر من نفسه ومن الحياة، هجرتك؟».

كان وجهها الآن شاحباً للغاية: «كفى! لماذا تفعل هذا؟».

ـ لكي أجعلك تستيقظين. لقد انتظرت عاماً ونصفاً أن يحدث هذا بشكل طبيعي ولكنني لست صبوراً إلى هذا الحد.

حملقت فيه وقد جرحها كلامه بشكل غير محدود:

Dalyia www.Rewity.com

ـ أنا أكرهك.

فقال بهدوء: «لا. أنت لا تكرهيني. تظنين ذلك فقط».

أنقذها من الجواب عندما انفتح الباب وسمعت صوتاً مسروراً ينطق باسمها: «مارشا... حبيبتي».

وهبطت حنة بجسمها الممتلىء السلم، وفي اللحظة التالية كانت المرأة تأخذ مارشا بين أحضانها بشكل خطف أنفاسها.

ـ لا تخنقيها، يا امرأة.

أطلقت المرأة سراحها إزاء صوت تايلور المتهكم. وأمسكتها حنة مبعدة إياها قليلاً تحدق في وجهها، ثم قالت: «أنت هزيلة، هزيلة جداً! أنت لا تأكلين».

ـ آه، يا حنة!

وعجبت مارشا وهي تشعر وكأنها رأتها في الأمس فقط. فقد اختفى العام والنصف بلحظة ولم تستطع أن تمنع دموعها من التدفق وهي تقول: «كم اشتقت إليك».

عانقتها حنة مرة أخرى وهي تقول بصوت لا تعنيف فيه: «ليس بقدر ما اشتقت إليك، يا ابنتي».

بقيتا متعانقتين لحظة أطول قبل أن يفرقهما صوت تايلور مرة أخرى: «أكره قول ذلك، لكنني جائع للغاية. هل يمكننا أن نتابع جمع الشمل في الداخل؟».

فقالت حنة تؤنبه باسمة من بين دموعها:

ـ آه، كيف تفكر في معدتك في وقت كهذا؟

دخلت مارشا البيت متأبطة ذراع حنة التي قادتها ناحية غرفة الاستقبال، قائلة: «الطعام جاهز، ادخلي واجلسي فترة، وسأدعوكما

بعد دقائق».

ـ شكراً يا حنة.

قال تايلور ذلك وهو يأخذ بذراع مارشا ويدخل معها إلى الغرفة الرائعة العالية السقف بلونيها الوردي والليلكي الباهت وبابيها الضيقين المؤديين إلى الأراضي الخلفية للبيت.

كانت مارشا تعلم ما ستراه إذا سارت إلى حيث تتمايل ستائر الدانتيل مع النسيم القادم من الحديقة. وكانت هذه رائعة بأشجارها المشذبة وأحواض الزهور الشذية الرائحة وحوض السباحة الذي أنشأه تايلور منذ عشر سنوات عندما اشترى البيت.

سارت إلى إحدى الأريكتين وجلست عليها وهي تقول: «كان عليك أن تخبرني أنك ستحضرني إلى هنا».

فأجاب بهدوء: «ما كنت لتوافقي على الحضور لو أخبرتك».

ـ إذن، فقد احتلت علي، فيالمهارتك!

فسكب لها كأس مرطبات وآخر له. وبعد أن ناولها كأسها جلس أمامها وقال: «لماذا تصديق الكذب أسهل عليك من تصديق الحقيقة؟ ألم تسألي مرة نفسك عن ذلك؟».

فقالت بفتور: «أظنك تعني عنك وعن تانيا؟».

تأملها لحظة ثم سألها: «ألم يخطر ببالك قط أنك ربما تكونين مخطئة بالنسبة لكل هذا؟».

خطر لها ذلك مئات وألوف المرات، لكن التمنيات لم تستطع أن تواجه الحقيقة البشعة. لن تنسى أبداً شعورها عندما اتصلت بالمانيا، وحولتها موظفة الاستقبال إلى غرفة تايلور لتسمع صوت تانيا المرح. وإذ كان يصعب عليها أن تكذب وعيناه عليها، قالت: «لا... قد أكون

Dalyia www.Rewity.com

حمقاء ولكن ليس إلى هذا الحد».

- فهمت.

وتعلقت عيناه بوجهها لحظة: «إذن فلن نضيع مزيداً من الوقت الليلة في الحديث عن ذلك».

وأشرق وجهه بابتسامته المعتادة... الخائن، الحقير الخداع، الكذاب، زير النساء!

حدقت إليه، واستحالت تعاستها غضباً بالغاً. كيف يجرؤ على الجلوس والابتسام بهذا الشكل بينما كاد يدمرها منذ عام ونصف؟

وضعت كأسها دون أن تسلخ عينيها عن عينيه. وقالت بشيء من التمرد: «هل ما زالت تانيا تعمل معك؟».

كان سؤالها عديم اللياقة ولكنه لن يملي عليها أوامره بالنسبة إلى ما عليهما أن يتحدثا به وما عليهما أن يدعاه، خصوصاً بعد أن اختطفها.

- طبعاً.

خلع سترته ورماها على الأريكة الأخرى ثم فك ربطة عنقه وتركها متدلية فوق قميصه فقالت بتهكم بالغ: «طبعاً».

تناول كأسه وهو يضيف: «ولكنها سترحل بعد شهر أو شهرين، لسوء الحظ. وسأكون آسفاً لفقدها... إنها سكرتيرة ممتازة وأمثالها نادرات».

جاءها عرض أفضل؟»

- ليس بالضبط.

- إذا لم يكن مغرياً فلماذا ترحل إذن؟

هل حصل شجار بين العاشقين؟

- ستلد طفلها في نهاية أيلول.

تساءلت مارشا عما إن كانت حنة تقبل بأن تساندها إن هي طلبت الرحيل. إذن، هذا هو سبب قيامه بمحاولة إرضائها بعد كل ذلك الزمن؟

تانيا حامل منه؟ الألم الذي تملكها كان أعنف من أن تتمالك أعصابها لذا أزاحت هذه الإمكانية جانباً حتى تستطيع التفكير فيها بإمعان عندما تصبح وحدها.

- أظن زوجها يريد بنتاً، فهو لديه صبيان من علاقة سابقة. لكنني أظن أن كل ما يهم هو أن يكون المولود سليم الجسم.

إذن، تانيا كانت متزوجة؟ متى حدث ذلك؟ هل كانت كذلك عندما تركت هي تايلور؟ وهل كانت تانيا تعاشر تايلور وذلك الرجل الذي أصبح الآن زوجها في الوقت نفسه؟ وهل يعرف زوجها أنها كانت ذات يوم بالنسبة لتايلور أكثر من مجرد سكرتيرة؟ كانت مئات الأسئلة تجول في رأسها، لكنها لم تستطع أن تطرح عليه أياً منها.

رفعت رأسها وتقابلت أعينهما فانحبست أنفاسها لحظة وهي تنظر في عينيه. كانت نظرة مختصرة سرعان ما اختفت، لكنها، للحظة، رأت فيها الرجل الحقيقي.

الرجل الذي عرفته وأحبته يوماً. ذلك الرجل القوي المليء بالحيوية وقوة الإرادة. تلك الإرادة التي لا تدع شيئاً يقف في طريق ما يريده. كانت تلك القوة المغناطيسية التي جعلتها تهرب تلك الليلة منذ عام ونصف، قبل أن يجد فرصة يغير فيها رأيها. خلافاً لتوقعاتها، لم يقل تايلور شيئاً أكثر عندما جلسا بصمت. كان شذا الأزهار يتسرب إلى الشرفة من الحديقة، وقد ابتدأ الشفق ينتشر.

Dalyia www.Rewity.com

وحدها زقزقة العصافير كانت تخترق الصمت المخيم عليهما.

قاومت مارشا النظر باتجاه تايلور متجنبة نظراته المتفحصة. كان جسده الطويل متكئاً بكسل بشكل بالغ الرجولة، وكانت عيناه عميقتين حساستين. لم يحرك عضلة واحدة ومع ذلك كان الجوّ حولهما مرهفاً للأحاسيس ومثيراً لكنها لم تشأ أن يظهر عليها التململ بالرغم من المشاعر التي تتملكها. إنه يغوي بمجرد وجوده ويغيظها أن تدرك أن تأثيره عليها لا يزال كما كان دوماً.

حدقت في كوبها، مصممة على ألا تكون من يخترق الصمت، وألا تتحدث عن تانيا وست مرة أخرى أيضاً. إنها حامل... وكان اندفاع مشاعرها من القوة بحيث حاولت أن ترخي أصابعها كيلا تنطبق هذه فتهشم الكأس. مضى زمن تلهفت فيه أن تحمل بطفل من تايلور. وكانت ستتوقف عن أخذ حبوب منع الحمل لولا إصرار تايلور على تأجيل ذلك، حينذاك، رغبة في قضاء مزيد من الوقت للاستمتاع ببعضهما البعض. وطبعاً لم تكن منتبهة إلى أن تايلور كان مشغولاً (بالاستمتاع) بنساء أخريات أيضاً...!

تصاعد من الحديقة صوت حركة خفيفة تبعها أصوات حادة جعلت تايلور يقفز عن كرسيه وينحني خلف أريكة قريبة من باب الحديقة ثم يعود ويقف حاملاً ما بدا أشبه بمسدس مائي.

ـ تايلور؟

السؤال الذي أوشكت أن تلقيه ضاع في غمرة استغرابها وهي تراه يقفز إلى الحديقة وهو يطلق النار مشابهاً جايمس بوند الممثل. وبعد لحظة صدر مواء عنيف اختلط بالهرج والمرج في الحديقة.

ـ أصبته.

وعندما انضمت مارشا إلى تايلور في الخارج، بدافع الفضول، التفت إليها والرضا على وجهه الوسيم: «مرة أخرى يتبلل فيها ويحفظ الدرس».

ـ من هو الذي سيحفظ الدرس؟

ـ هرّ الجيران! إنه يترصد إخراج الشحرور من إحدى أشجار الحديقة، الماء لا يضره، ولكن من المؤكد أن ما يجرح كبرياءه أن يتوارى مبتعداً أشبه بجرذ نجا من الغرق. ستضطر كرامة رجولته إلى الاعتراف بأنه لن يستطيع الحصول على ما يريد.

وسيعلم تايلور كل شيء عن كرامة الرجولة! أوشكت مارشا أن تقول له هذا عندما طار شحرور بجانب رأسيهما بشكل يشبه رقصة النصر. وصاح تايلور خلفه قائلاً: «إلى الأمام يا صغيري، لن ينجح».

هذا هو الرجل الذي أنشأ عملاً بملايين الجنيهات قبل أن يبلغ الثلاثين، وشعرت مارشا بأنها أصبحت تعرف ما شعرت به «أليس» في «بلاد العجائب».

وعندما همت بالكلام قاطعها: «اسمعي».

ومال برأسه يستمع باهتمام فهمست:

ـ ماذا تسمع؟ هل عاد الهر؟

ضحك لها قائلاً: «لا، بل هي حنة تنادينا لتناول العشاء».

Dalyia www.Rewity.com

٣ ـ لغة الجسد الخائنة

كان العشاء رائعاً كما توقعته مارشا، فحنة طاهية ممتازة، وعندما أخذت أنواع الطعام تتوالى، لاحظت مارشا أن تايلور قرر أن يكون مرافقاً ممتازاً.

تحدث عن أشياء شتى، وتصرف ببساطة وعفوية، لكن مارشا استمرت تذكر نفسها بألا تنخدع بمظهره الكسول وعدم تجهمه. إنه تايلور، وكانت قد نسيت ذلك عنه عند مجازفتها تلك. لقد عاشت مع هذا الرجل عاماً ونصفاً، وعرفته قبل ذلك بحوالى تسعة أشهر، فعرفت عنه شيئاً واحداً، وهو أنه عندما يهدف إلى شيء يكرس له كل جهوده، كما أنه عديم الرحمة عندما يريد شيئاً. وحالياً، هو يريدها.

كانت المائدة مجهزة لشخصين ومزينة بالشموع والورود والفوط المعطرة. وكانت حنة تقوم بخدمة المائدة بصمت وتضحك لمارشا كلما نظرت هذه إليها. كان مشهد إغراء بارداً، كما حدثت مارشا نفسها، وتايلور خصص ظرفه وسحره ليكسب مساعدة حنة له. ما الذي أخبر به مديرة منزله عن انفصالهما؟ ليس الحقيقة بكل تأكيد. وهي تراهن بحياتها على ذلك.

بعد تناول الحلوى الفاخرة، قررت مارشا أن هذا يكفي. لقد حكت لتوها عن حادثة مسلية جرت في العمل هذا النهار، وعندما ضحك رأته جذاباً للغاية. وأفسدت دلائل الخطر كل شيء.

ثار غضبها، ما الذي تفعله؟ وما الذي جعلها تصل إلى هذا الوضع الداعي للسخرية؟ لقد عاد تايلور إلى حياتها بكل مهارة وتركته يغريها بتناول العشاء معه وفي بيتهما الزوجي. لا بد أنها فقدت صوابها.

ـ ماذا حدث؟

رفعت نظرها تواجه عيني تايلور غير المقروءتين محاولة أن تخفي الذعر المفاجيء على ملامحها وسألته ببرودة متصنعة: «عفواً؟».

ـ أظننا عدنا فجأة إلى تسوية الحساب بيننا، هل هذا صحيح؟ ولماذا؟

هل لديه فكرة عن مدى جاذبيته؟ وبللت شفتيها الجافتين.

ولكن طبعاً هو يعلم، فقد نشأ تايلور في أكثر الأحياء فقراً من أم سكيرة وأب لا يكاد يراه، ما جعله يعتاد استغلال وسامته الخارقة وذكائه الحاد في عمر مبكر. لقد ترك بيته وهو في الخامسة عشرة من عمره، وبدأ عمله الحالي في الثامنة عشرة بمال تسوله واستدانه. وفي العشرين أصبح في وضع يمكنه من أن يعطي سوزان أخته التي تصغره بأربع سنوات بيتاً بعد أن ماتت أمهما وهجرهما والدهما إلى الأبد.

وفي الثالثة والعشرين كان قد جمع المليون الأول الذي تبعته ملايين أخرى. كان رجلاً عصامياً وهو الآن في الخامسة والثلاثين من عمره وذو اسم محترم ومخيف معاً لعدم رحمته.

لكنه لم يكن عديم الرحمة معها قط. جاءتها هذه الفكرة من مكان ما فقاومت تأثيرها المثبط لتصميمها، لكن علاقاته الخفية بنساء أخريات هي أسوأ ما يمكن من انعدام الرحمة. كانت سوزان واثقة من أن هناك أخريات قبل تانيا، وحتى إن لم يكن، فخيانة واحدة تكفي.

وقالت بجفاء: «ليس لدي فكرة عما تعنيه. فنحن لم نغير موقفنا من

Dalyia www.Rewity.com

يعضنا البعض منذ البداية. دعوتني إلى العشاء لأن..».

وسكتت فجأة... لماذا دعاها بالضبط؟

فقال برقة: «لأنني أردت أن أكون معك؟».

فقالت: «لأنك أردتنا أن نفترق بشكل مهذب».

فقال بابتسامة جافة: «لماذا تزيدين حدّة الكلام كلما تقدم بك الوقت؟ لا أرى أن شيئاً تغير».

حملقت فيه. إذا كان هنا من يعاني من تغيير الحقيقة فهو هي: «والآن، اسمع..».

- بل أنت من يسمع يا زوجتي الحلوة العنيدة.

قال هذا وهو يقف بسرعة وليونة كعادته، وقبل أن تنتبه كان قد أوقفها على رجليها، ممسكاً بمرفقيها: «أريد أن نناقش هذا الأمر إلى النهاية».

فقالت غاضبة لتأثير قربه منها على هدوئها النفسي: «لاأريد أن أناقش شيئاً. مامن شيء ليقال أو يناقش».

- ربما معك حق في هذا. ألا يقول المثل «الفعل أفصح من القول؟».

وكانت عيناه تشتبكان بعينيها، بينما قوّست ظهرها إلى الخلف، لكنه بحركة خبيرة، جذبها إليه ووضع ذراعه حول عنقها.

قاومته بصعوبة فأدركت أنها تقاوم نفسها بقدر ما تقاومه... لأنها في اللحظة التي لامستها أصابعه تملكتها مشاعر محمومة إلى حد أخافها أكثر من أي شيء آخر. هذا هو الرجل الذي خانها وحطم قلبها ثم عاد إلى حياتها وكأن لديه كل الحق في ذلك. وعليها ألا تذعن له.

لكن رغبتها فيه لم تخمد عما كانت عليه حين تعرفت إليه للمرة

الأولى.

وتملكها اليأس فلطالما كان مسيطراً آسراً.

أسكرتها رائحته وحاولت جاهدة السيطرة على المشاعر التي كانت تعصف بجسدها. مضى وقت طويل منذ كانت بين ذراعيه بهذا الشكل، وكانت لمسته متلهفة ولكن ليست قاسيةً ومع ذلك عندما نجحت في إبعاد نفسها قليلاً، شهقت قائلة: «أنت تؤلمني، دعني».

بقي لحظة يحتضنها ما أمكنها أن تشعر بكل ذرة من جسده القوي المسيطر، ثم، بآهة خافتة، نزع يديه عنها. كان يتنفس بصعوبة، والرجفة التي شعرت بها في جسده انعكست في جسدها. رأت صدره يعلو وينخفض وهو يحاول السيطرة على نفسه... في حين أصبحت هي الآن تقاوم رغبة مدمرة في أن تعود لترتمي بين ذراعيه.

حدثت نفسها أن أفضل سبل الدفاع هو الهجوم فقالت متجاهلة جسدها المرتجف: «كيف تجرؤ على إرغامي؟ أقسم بأنك إذا أقدمت على ذلك مرة أخرى، سأصرخ بأعلى صوتي. حتى حنة ربما تترك العمل عند رجل يُرغم النساء».

تأملها بصمت فترة بدت دهراً، وقد دسّ يديه الآن في جيبي بنطلونه، ثم قال بابتسامة هازلة: «يخيل إليّ أن السيدة تحتج بقوة».

إنه حقاً أكثر الناس إغاظة. لماذا لا يغضب لما قالته بل يقف وقد بدا عليه السرور البالغ؟ هذا المتغطرس الخداع الخائن؟ وحاولت أن تقلد اتزانه وهي تقول: «لا تدع الغرور يتملكك يا تايلور، فأنا أعد الدقائق وليس الساعات لأتحرر منك إلى الأبد».

أسكتهما دخول حنة بصينية القهوة والكعك اللذيذ. نظرت إليهما معاً دون تعليق، رغم أن الجو لم يكن يحتاج إلى الكثير من الفطنة لتعرف

Dalyia www.Rewity.com

أنه متوتر، ولم تعرف مارشا ما إذا كانت حنة قد لاحظت شيئاً عليهما.

كانت مارشا جالسة عندما انفتح الباب، لكن تايلور كان واقفاً بجانب كرسيها حتى غادرت حنة الغرفة، عند ذلك سار إلى النافذة ثم أخذ ينظر إلى ظلام الليل.

حدّقت مارشا في كأسها وهي تتساءل عما جعلها ضعيفة ميالة للبكاء. أرادت أن تهزمه فلماذا لم تستطع أن تتدبر أمر مشاعرها كما استطاعت أن تتدبر سائر شؤون حياتها؟

إنها تشعر بالتوتر يتصاعد فتساءلت إلى متى ستتمكن من تحمل هذا الصمت. لكنها لن تكون البادئة بالكلام. يالللغباء!.. ربما هذا شعور صبياني، لكنها كانت بحاجة إلى أي نصر مهما كان ضئيلاً للتغلب على تايلور.

ـ أتحبين أن نأخذ قهوتنا إلى الخارج؟

قال لها هذا بصوت طبيعي عادي تماماً فأوشكت أن تطرحه أرضاً لهدوئه البالغ وبرودة أعصابه.

هزت كتفيها دون مبالاة بينما تشابكت أعينهما: «كما تشاء ولكن عليّ أن أذهب. لدي اجتماع هام في الصباح».

رفع عينيه مستفهماً وهو يرفع إبريق القهوة.

ـ جيف، رئيسي في العمل يريد أن نتناقش بعض الأفكار عن فيلم وثائقي كنا نبحثه. لقد أعطوني رزمة من المعلومات، لكنني بحاجة إلى ترتيبها بشكل مناسب لكي نبيع الفكرة.

كانت غافلة عن مقدار الحيوية التي بدت في صوتها وهي تتحدث عن عملها الذي تعشقه، لكنه كان قد توقف عن سكب القهوة وهو ينظر إليها قائلاً: «أأفهم من ذلك أنك مساعدته؟»

فأومأت. كان في اختياره لها لهذه الوظيفة المرغوبة من كثيرين، ما شجعها ورفع من معنوياتها.

والسبب الرئيسي في ذلك هو أن جيف كان قد تذكرها حين كانت غير متزوجة، وذلك حين كانت تتدرب على أن تكون مخرجة أو مديرة انتاج تلفزيوني. ورغم أن تعارفهما كان قصيراً للغاية، لكن يبدو أنه تأثر بها.

كان قرارها أن تترك الشركة الأخرى بعد زواجها، لأن الدوام والالتزام بمشروع الخمس سنوات ذاك، كان غير مناسب اجتماعياً، وكانت تريد أن تكون مع عريسها قدر إمكانها من الوقت، وهو قرار ندمت فيما بعد على اتخاذه ندماً مراً.

دراسة اللغة الإنكليزية في الجامعة والدراسات المتعلقة بها، رفعتها إلى درجة سامية في حقل المعرفة عند التخرج. ومنحها هذا سبيلاً إلى تخطيط البرامج وهو مركز لا يفوز به سوى قلة من الآف المتقدمين إليه، وإذا بها تلقي بكل هذا بعيداً. ولولا الفرصة التي سنحت لها للعمل مع جيف لوجدت نفسها الآن تعد الشاي وتمسح الغبار.

ـ أنا مسرور لأجلك.

صوته الهادىء أخرجها من أفكارها واستقرت عيناها على وجهه الجاد. فأدركت أن ما كان بينهما من انجذاب ما زال موجوداً، وكرهت القوة التي يمنحه إياها ذلك، فقالت بصوت تعمدت أن يكون هادئاً: «أحقاً؟»!

ـ حقاً.

كان مشبكاً يديه على صدره وهو يتأملها بعينيه الغريبتي الجمال اللتين اعتادتا أن تنفذا مباشرة إلى روحها.

Dalyia www.Rewity.com

فقالت مجمدة عينيها: «سامحني، لكنني أرى من الصعب تصديق ذلك».

- أنا أسامحك، وهذا لأنني أفهم الآن كم أنت هشة خلف مظهرك الرائع الجمال هذا وكم تفتقدين للأمان.

ها هو يقول مجدداً إنها تفتقد للشعور بالأمان! لو كرر ذلك مجدداً فلن تكون مسؤولة عن تصرفاتها!

- كان خطأ منك أن تتخلي عن عملك حين تزوجت، لكنني لم أدرك ذلك إلا بعد فوات الأوان. إنك بحاجة إلى الإحساس بقيمة الذات الذي يمنحك العمل إياها. ظننت أنني سأكون كافياً لك لأمنحك كل ما تريدين، لكن ذلك كان مبكراً.

- توقف عن تحليلك النفسي هذا يا تايلور. الأمر بسيط للغاية وهو أن الخطأ الذي اقترفته هو أنني وثقت بك.

- لا شيء بسيط بالنسبة إليك كما أدركت أنا ودفعت الثمن.

وناولها فنجانها دون اهتمام بما قالت، وهو يتابع: «لطالما ظننت أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، فأين برهانك؟».

واجهها بهذا السؤال فجأة، فقفزت وكأن حشرة لسعتها، ولكن رغم أنها نظرت إليه بعنف، ألا أنها لم تقل شيئاً.

- حتى أنك لا تأذنين لي بأن أتحدى الشخص الذي تسبب في تحطيم زواجنا.

فأجابت بسرعة: «يمكنك أن تتحدى تانيا في أي وقت».

- تانيا بريئة مثلي من كل التهم.

ووضع كوبي القهوة مع الحليب والسكر والكعك على الصينية وحملها مشيراً إلى الحديقة: «هل نذهب؟».

مرت به وتجاوزته خارجة من الغرفة، واستمرت إلى الردهة ومنها إلى غرفة الاستقبال، ومن هناك خرجت إلى الحديقة، واشتعلت الأضواء بحركة آلية وهي تتابع إلى الفناء الداخلي. صوت خرير المياه المتساقط من النافورة ذكرها بالوجبات الكثيرة السعيدة التي اعتادا أن يتناولاها في الهواء الطلق، لكنها رفضت أن تنجر وراء هذه الذكريات.

سارت إلى الطاولة الخيزرانية والكراسي المغطاة بالوسائد التي كانت قد اشترتها هي وتايلور بعد زواجهما مباشرة، رغبة في تناول الطعام خارج الجدران بين الأشجار والسور الحجري القديم. كانت أحواض الزهور مزركشة الألوان، وكان شذاها يعطر الجو حولها، وكانت السماء مخملاً أسود مرصعاً بالنجوم.

لم تتكلم عندما وضع تايلور الصينية على المنضدة وجلس. ولكن عندما أراد أن يضع السكر في كوبها قالت: «أنا أشرب القهوة مرّة الآن، شكراً».

رفع حاجبيه متفاجئاً: «ألست ملكة السكر؟».

- إننا نشرب القهوة في العمل طوال الوقت، فتعودت عليها هكذا.

كان شيئاً سخيفاً، لكنها شعرت بالسرور لأنها أدهشته وقال ساخراً: «أرى أن عليّ ألا أفترض شيئاً».

وجعلها قوله تشعر وكأنها تتصرف بشكل صبياني.

لكنها تغيرت في العام والنصف الماضيين، كما أخذت تفكر... وتناول القهوة مرّة هو أقل مظاهر ذلك.

- تماماً.

أجابته بذلك بهدوء وكأنها لم تلحظ التغير في صوته.

وتجاهلت الابتسامة التي لوت شفتيه، برباطة جأش كانت مزهوة

Dalyia www.Rewity.com

بها.

كانت تحيط بالطاولة ست كراسي، لكنه اختار أن يجلس بجانبها كما توقعت، والآن كان قريباً منها بحيث كادت كتفه تحتك بكتفها.

جاهدت للاسترخاء، مصممة على ألا تدعه يشمت بها إذا علم بتوترها.

وبعد لحظات قالت: «ماذا عنيت عندما قلت إنك تعلم كل شيء عني منذ انفصالنا؟».

كان هذا في ذهنها طوال المساء كما تذكرت الآن بشيء من الدهشة وهي تسمع نفسها تقول ذلك.

- كنت أعني ذلك بالضبط.

لن تدعه يفلت منها بهذا القول الموجز. فقالت وهي تنهي قهوتها: «هذا ليس جواباً».

- طبعاً هو جواب.

والتفت إليها ينظر إلى وجهها، لكنها أبقت عينيها على الحديقة المعتمة: «هل ظننت حقاً أنني كنت سأدعك تخرجين من البيت ومن حياتي أيضاً؟».

فارتجفت: «من...؟ كيف...؟».

لن تعرف تماماً كيف تقولها، ولكن يبدو أنه فهم ما تحاول أن تقول. تحرك في كرسيه وبسط ساقيه أمامه، وعندما داعبت أنفها رائحة العطر الذي يضعه، كادت أعصابها تحترق.

ثم قال بليونة: «لقد استخدمت شخصاً لذلك. هل من مشكلة؟».

نعم، هناك مشكلة! وهتفت بصوت حاد جعل بعض الطيور تنتفض في أعشاشها في الأشجار المحيطة:

- كنت تراقبني... كالمجرمين؟.

فقال بهدوء وعينيها في عينيه: «لا تكوني طفلة! أردت أن أتأكد من أنك على مايرام، وهذا كل شيء. أنت زوجتي ومسؤوليتي».

- كفاك هراء!

طقطق بلسانه بعدم استحسان وهو ينظر إليها، وتملكها الأسف لأنه لم يتبق قهوة في كوبها لتقذفه بها.

ووقفت وعيناها تلمعان: «أريد أن أذهب الآن».

- طبعاً.

وتحيرت وهي تراه يقف متكاسلاً: «التاكسي في الخارج منذ دقائق. لم أظن أنك ستحبين أن تتأخري عن عملك صباحاً».

- من هو الذي وضعته ليتجسس علي؟

رغم رغبتها في أن تندفع خارجة كالعاصفة وأنفها مرفوع، إلا أنها كانت حقاً تريد أن تعلم.

- ليس (هو) بل (هي)، وهي من إحدى أفضل الشركات سمعة في البلاد. والمسألة ليست تجسساً. كانت فقط تتأكد من فترة لأخرى من أنك لا تعانين من أي مشكلة، وأن كل شيء على ما يرام. هذا كل ما في الأمر.

فقالت والسخط يقطر من عينيها: «ومن رأيت وإلى أين ذهبت ومع من؟».

فقال بهدوء رائع: «طبعاً، فأنتِ زوجتي».

- إننا منفصلان.

- أنت مازلت زوجتي يا مارشا.

نظرت إلى عينيه الكهرمانيتين القاسيتين وقالت وهي ترتجف: «لن

Dalyia www.Rewity.com

أسامحك أبداً لهذا، أن ترسل من يتجسس عليّ وكأنني أنا من أخطأ..».

وتمنت من كل قلبها لو أنها قابلت أحداً في الأشهر الماضية... لو أنها ذهبت في موعد غرامي أو اثنين.. لو أنها عبثت قليلاً... أي شيء يجرح غرور هذا العملاق.

هزّ كتفيه بملل: «وهذا يشكل حماقة أخرى تضاف إلى القائمة... أليس كذلك؟».

- ويبدو أنك لا تهتم بحماقتك.

قالت هذا بحدة غاضبة من تصرفاته المرتجلة وعدم ندمه.

- إذا كنت تشيرين إلى علاقتي المزعومة مع تانيا، فقد أجبت بأنني بريء، هل نسيت؟

حملقت فيه وهي تتساءل كيف أمكن أن يؤثر هذا الرجل عليها، حتى وهي تعلم بالضبط ما الذي يهدف إليه؟ عليها أن تتمكن من تجاهل غطرسته، لكنه يثير أعصابها بشكل لا يطاق: «أريد أن تأمر بتوقيف الكلب البوليسي».

- أشك في أن المرأة الرائعة الجمال موضوع الحديث ستقبل بأن تُدعى كلباً.

إنه يهزأ منها! وحدقت إلى الوجه الصلب وهي ترتجف سخطاً، ثم قالت بقوة: «يمكنني التفكير في أشياء أسوأ أطلقها عليها».

- لا أشك في ذلك.

- أتعلم هي أي نوع من الرجال تعمل معه؟.

فقال وهو ينظر إليها بكسل: «أظن ذلك. أنت تقتربين من الجزء الأهم».

- بشكل كبير.

- هذا ما أشك فيه.

وأمسك بذراعيها يوقفها أمامه وينظر في عينيها بعمق وهو يقول: «ولكن قبل أن أنتهي، ستعلمين، يا مارشا، هذا وعد مني».

- دعني.

ووقفت في قبضته متصلبة وهي تحملق فيه غاضبة.

- لا أحب أن أخضع لقوة وحشية.

- قوة وحشية؟

واخترقتها عيناه الثاقبتان: «أحياناً أتساءل من أي كوكب جئت؟».

رفضه التام لتقبل أي لوم على تصرفاته أثار غضبها البالغ: «أنت أحقر من الحقارة نفسها... أتعلم ذلك؟ أنا أكرهك..».

قالت هذا بمرارة وصوت كالفحيح. لكن أي شيء آخر كانت ستقوله قطعه عناقه لها، فتلاشت مقاومتها بالرغم من كل جهودها في أن تبقى منيعة.

أدركت أنها كانت تذوب بين ذراعيه حتى لم تعد تستطيع أن تمنع تجاوبها أكثر مما تستطيع حبس أنفاسها. وأصبح الحاضر والماضي منسيين عندما استولى سحره على حواسها.

وضع تايلور ذراعاً حول خصرها بينما أمسك بيده الأخرى شعرها الحريري. شعورها بتايلور جعل فيضاً من الذكريات يتدفق إلى ذهنها.

كانت عيناها الآن مغمضتين وقد امتزجت الألوان بالمشاعر وهي تمنح نفسها كلياً للمساته الساحرة.

كان قوي العضل صلب الجسم فياض الرجولة. وعندما طافت يداها فوق كتفيه العريضتين وصدره القوي، أدركت أنها تركت نفسها

Dalyia www.Rewity.com

تنقاد وراء سحره، فوجدت القوة لتدفعه عنها.

تراجعت وساقاها ترتجفان لا تكادان تحملانها: «لا، لاأريد هذا».

لم يأت بحركة نحوها وإنما رفع حاجبيه: «ليس هذا ما يقوله جسدك».

حدقت إليه، معترفة بينها وبين نفسها بأن كل ما شعر به جسدها من إحساس أثناء عناقهما سجلته أعصابها.

فقالت بحذر: «أنا لا أقول إنني لست منجذبة إليك جسدياً، لكن ذلك شيء مختلف تماماً».

ـ أنت خسرتني.

قال هذا متساهلاً لكنها لم تصدقه، فالتساهل ليس من صفاته.

فقالت بحزم: «لم نعد عشيقين يا تايلور. هذا ما أقوله».

ـ كنا متزوجين، هل نسيت؟ أم عليّ أن أقول إننا الآن زوجان؟

ولم يبد عليه الآن التساهل.

سوت ثيابها بأصابعها المرتجفة، غاضبة من نفسها لإذعانها بسهولة لما بدا أنها مؤامرة من جانبه. ظن أن ليس عليه سوى أن يطلق سحره لتنهار على قدميه، كما فكرت ساخرة.

ـ أظن الوقت حان لأعود إلى بيتي.

قالت هذا رافعة الرأس، متلهفة لإخفاء الحس المحرق بالخزي الذي تملكها.

ـ أنت في بيتك الآن.

ـ أنت تعلم ما أعنيه.

ـ تعنين أنك تريدين العودة إلى ذلك الصندوق الصغير الموحش

الذي تسكنينه، أليس كذلك؟

تراجعت بذعر لهذه الإهانة لبيتها الذي أثثته بكل عناية: «تقول إن السيارة تنتظر؟».

سألته بكرامة هادئة ملأتها سروراً فيما بعد عندما فكرت فيها.

فقال والهزل قد عاد إلى صورته: «هذا صحيح».

فقالت ببرودة: «شكراً للعشاء. لكني مضطرة حقاً إلى الرحيل الآن».

ـ سأخبر حنة بأنك راحلة. ستودعينها أليس كذلك؟

قال هذا باستخفاف فقالت: «طبعاً، فأنا لم أتشاجر مع حنه».

وقطبت جبينها وقد آذاها أن يظن بها غير ذلك.

ـ سيريحها جداً أن تسمع منك هذا.

قال هذا ساخراً، فقالت: «أنا أكرهك».

ـ هذه ثالث مرة أسمع منك هذا اليوم. هل تحاولين أن تقنعيني أو أن تقنعي نفسك؟.

Dalyia www.Rewity.com

٤ ـ الثلج والنار

استيقظت مارشا في الصباح باكراً جداً بعد ليلة جافاها فيها النوم. أعدت لنفسها القهوة ثم حملت كوبها مع غطاء لفت نفسها به وجلست على شرفتها تراقب بزوغ الفجر.

أصرّ تايلور الليلة الماضية على أن يرافقها إلى بيتها، رغم كل احتجاجاتها، لكنه، بخلاف ما توقعت، لم يفعل أكثر من إمساك يدها أثناء رحلة العودة إلى بيتها. وبعد أن أخبر السائق بأن ينتظر، رافقها إلى باب المبنى، ثم صعد معها إلى طابقها. عند ذلك واجهته بتمرد، منتظرة تصرفه الذي كانت واثقة من أنه سيقوم به بعد ذلك العناق في بيته، لكنه أومأ لها فقط دون أن يبتسم حالما فتحت بابها الأمامي، متمنياً لها ليلة سعيدة، ثم رحل.

أين أصبح وضعها؟ أخذت تتساءل الآن وعيناها المتعبتان تنظران إلى السماء الوردية أمامها وكأن لديها الجواب.

هل اعترف بالهزيمة؟ هل سيتركها الآن وحدها بعد أن أوضحت له تماماً شعورها الذي ما زالت عليه؟

انهت قهوتها وأراحت رأسها إلى الخلف وأغمضت عينيها. كانت على صواب بشأن كل هذا... شأنه، وشأن زواجهما، وتانيا وكل شيء. أتراها كذلك؟ ولكن طبعاً كانت كذلك.

لا بد أنها كذلك! التعاسة التي عاشتها طوال العام والنصف الأخير

لا يمكن أن تكون عبثاً. لقد خانها مع تانيا في المانيا حتى ولو لم يكن قد فعل ذلك من قبل. لكنه كان يبدو صادقاً.

وفتحت عينيها وهي تسمع حركة السير تزداد بعد أن بدأت المدينة تستيقظ. ولكن... كان دوماً قادراً على إقناع الآخرين.

وهذه إحدى المواهب التي جعلته يرتفع من الحضيض إلى قمة الثراء في وقت قصير.

تململت مكانها، وجذبت أصابع قدميها إلى تحت الغطاء. كان من المفترض أن يكون هذا النهار حاراً، لكن الصباح بارد دوماً.

هي ما زالت تحبه! هذه الحقيقة التي تراودها في نومها والتي لا يمكن نكرانها في ضوء النهار. وستحبه دوماً!

هذا الحب الذي كان نعمة من السماء حين كانا سعيدين معاً، سيصبح عبئاً ثقيلاً على كاهلها. ولأنها تحبه إلى هذا الحد لا يمكنها العودة إليه أبداً.

نهضت وهي تهتز ألماً، وتركت الغطاء على الكرسي وعادت إلى غرفتها لتعدّ كوب قهوة آخر.

كانت كل خلية في جسدها تشعر بتايلور الليلة الماضية، وهذا وحده أنبأها بأن عليها أن تكون قوية. لقد سبق وأمضت أيامها ولياليها تبكي على فراقهما ولكن هذا انتهى الآن. ربما لو كانت من نوع آخر من النساء، امرأة بإمكانها أن تغضّ الطرف عن علاقات زوجها العابرة. ولو أنها لم تحبه إلى هذا الحد لاختلف الأمر. ولكن، وحبها بهذا الشكل، سيدمرها تايلور.

هي لا تنوي أن تمضي حياتها في مراقبة تايلور وعشيقته التالية، أو ما هو أسوأ، كما هي الحال مع امرأة تعرفها، تمضي لياليها تبحث في

Dalyia www.Rewity.com

جيوب زوجها عن أدلة خيانة.

أحاطت فنجان القهوة بيديها الباردتين تدفئهما رغم البرودة التي كانت تزداد في داخلها. كانت ساذجة ذات يوم لتصدق أن هناك حقاً نهاية سعيدة للمحبين، كما هي في الحكايات. في عالم الذئاب هذا... لكنها أصبحت الآن أكثر حكمة، وهي لن تقترف الغلطة نفسها مرة أخرى.

لقد تركها تايلور الليلة الماضية دون كلمة، وهذا من حسن الحظ. فقد وصل إليها رغم كل جهودها في إبقائه بعيداً عنها، واخترق الجدار الذي أقامته حول مشاعرها بنفس السهولة التي يقوم بها دوماً، لكنها ستحرص على ألا يحدث ذلك مرة أخرى. لم تكن واثقة كيف ستتدبر الأمر، لكنها ستتمكن من ذلك إذا تقابلا مرة أخرى.

أنهت قهوتها وحملت الغطاء إلى الداخل وبعد أن رتبت الغرفة واغتسلت وسوّت شعرها وزينت وجهها بسرعة، ارتدت طقماً ليلكياً ضيق التنورة. لم يكن من عادتها ارتداء ملابس كهذه في المكتب، لكنها كانت تتوقع اجتماع العمل ذاك.

وعندما عادت إلى المنزل، كانت الساعة لا تزال السادسة والنصف، لكنها أرادت أن تتيح لذهنها أن يصفو بالذهاب إلى العمل سيراً على الأقدام، ووصولها باكراً يجعلها مستعدة تماماً لذلك الاجتماع.

كان صباحاً رائعاً والشمس تغمر الشوارع، وبرد الليل جعل جو المدينة نظيفاً نقياً. لقد اعتادت، في كل صباح كهذا، أن تتناول الفطور مع تايلور في الفناء الداخلي مرتديين معطف الحمام، وتغريد الطيور الرتيب فوق رأسيهما يمتزج بضحكاتها ورائحة الفطائر الساخنة التي

كانت تعدها حنة. ومنذ رحيلها لم تستطع أن تستمتع بعد ذلك، بأكل الفطائر.

قطبت حاجبيها وغاظها أن تدع ذكرياتها تتطفل على ذهنها هذا الصباح. عليها أن تركّز اهتمامها على عملها فقط وهي تعرف ذلك وبالتالي لا جدوى من هذه الأفكار العاطفية الحمقاء.

تباطأت خطواتها قليلاً عندما اقتربت من مبنى التلفزيون. وتملكها اضطراب داخلي وهي تواجه احتمال أن يصبح زواجهما قريباً خبراً في برنامج أخبار المجتمع.

لكنها لن تقلق لهذا الأمر كما أنه ليس من شأن أحد غيرها على كل حال. ستفسر لبيكي الأمر فهي مدينة لها بذلك، ولكن ليس لغيرها إذا دفعه الطيش للسؤال.

وفي مكتبها خلعت حذاءها العالي الكعب وسترتها، وسرعان ما استغرقت في عملها الكتابي عن قصة باكستر.

وصلت بيكي عند الثامنة والنصف فاقترحت عليها مارشا أن تتبادلا الحديث في وقت الغداء لتعود بعد ذلك إلى أوراقها.

في العاشرة دخلت إلى الاجتماع بادية الثقة بالنفس وبعد نصف ساعة علمت أنها استحوذت على اهتمام الجميع...

الجميع مع عدا بينيلوب! عينا المرأة الزرقاوان الباردتان كانتا أول ما رأت حال دخولها القاعة وعندما ابتسمت لها تجاهلتها بينيلوب فأدركت مارشا أنها لن تكون المفضلة لديها.

قالت بينيلوب وهي تنظر حولها رافعة حاجبيها: «لا أدري إذا كنا مضطرين إلى أن نأخذ مجرد خليط معلومات متعددة المصادر مثل «مانن ديل» ونطبقها على هذه المعلومات الضئيلة. لا نريد دعوى قضائية

Dalyia www.Rewity.com

أخرى. كيف لنا أن نعلم أنهم أرغموا تشارلز باكستر على التنازل عن أعماله؟ وحتى إذا... إذا فعلوا ذلك... فهذا لا يعني بالضرورة أنهم فعلوا الشيء نفسه من قبل».

ـ أنا غير موافق.

قال جيف نورث هذا بحزم وعلى وجهه دهشة لاتخاذها هذه الوجهة في خطة كان هو قررها من قبل: «من الحقائق التي أحضرتها مارشا هذا الصباح، اتضح أن صفقات قذرة واضحة ألقت ظلالها على نجاح مانن ديل منذ اليوم الأول. لكن هذا العمل الأخير مع باكستر انتهى بموت الرجل، ونحن علينا أن نعيد هذا إلى الساحة ولهذا نحن هنا».

ـ همهم.

ونظرت بينيلوب إلى المدير المنفذ في القاعة، الذي كان رئيس جيف: «أتظن أن مارشا جمعت ما يكفي من المعلومات يا تيم؟ أخشى أن تكون... حماستها للقصة جعلتها تتخبط بشكل عشوائي نوعاً ما».

وضع تيم يديه على الطاولة أمامه يتأملها فترة قبل أن يرفع نظره. لقد عمل مع بينيلوب أكثر من عشر سنوات ويعرفها جيداً. إنها الآن، لأمر ما، تلاحق مساعدة جيف، وعندما تكون بهذا الشكل، تصبح منفعلة غاضبة. القصة جيدة وكلهم يعلمون ذلك، لكنهم أرجأوها اسبوعاً أو اثنين بحجة أن الحصول على معلومات أخرى لن يضرّ القصة بشيء. حتماً لم يكن يريد أن يقف ضد بينيلوب، فهما متفقان. تنحنح وقال متحاشياً النظر إلى وجه مارشا المتوهج: «ابحثي عن معلومات أخرى بكل تأكيد، سندرسها بعد أسبوعين. والآن، هل هناك شيء آخر مادمنا مجتمعين؟»

فقالت: «نعم، المعدات الجديدة التي كنا تفحصناها. لقد حصلت على معلومات دقيقة عنها الآن، وأحدها بالذات جيد، «كين انترناشيونال»؟»

ثم، وكأنها أدركت فجأة أنها كانت تتكلم خارج دورها، التفتت إلى الآخرين في الغرفة وقالت بعذوبة: «شكراً لكم جميعاً، لاأظننا بحاجة إلى احتجازكم أكثر من ذلك».

وفي المصعد، حكّ جيف رأسه بحيرة وقال لمارشا المتوهجة الوجه: «لماذا كل ذلك؟ لدينا الكثير من المعلومات».

فقالت مارشا وقد قررت أن لا فائدة من التملص: «الذنب ذنبي، فقد علمت بينيلوب أمس أنني متزوجة فجرحت كرامتها لأنها لم تكن تعلم بذلك من قبل».

ـ هل أخبرتها؟

ـ ليس بالضبط.

وتنهدت بعمق: «كين رئيس «شركة كين الدولية» هو زوجي يا جيف، وكان هنا أمس مع بينيلوب».

ـ آه...

بقدر ما كانت تريد أن تقول إن حقد بينيلوب لا يؤثر عليها، بقدر ما كانت تغلي غيظاً بقية الصباح. فقد تم انتقادها ظلماً وأهملت، وهذا كله ذنب تايلور، كما حدثت نفسها غاضبة، رافضة الاعتراف بالصوت الخافت في داخلها الذي قال إنها تظلمه نوعاً ما. ولكن لو أنه لم يعلن أمس للجميع أنهما متزوجان لما علمت بينيلوب عنها شيئاً الآن ولكانت قصة باكستر في حقيبتها الآن. جرحها لإحساسه عندما عاملته بجفاء في حفلة الكوكتيل أمس كانت نتيجته أن بدت حمقاء هذا الصباح أمام

Dalyia www.Rewity.com

الجميع. هذا ليس عدلاً! ولكن، من ناحية أخرى، متى كان تايلور يعرف العدل؟ إنها تشمئز منه تماماً ومن بينيلوب أيضاً، وهما مناسبان تماماً لبعضهما. وعند الغداء ابتدأ الصداع يتملك مارشا وكذلك التوتر.

كانت واعية إلى النظرات السريعة التي كانت بيكي ترمقها بها منذ عودتها مع جيف من الاجتماع. لكنها لم تمنح سكرتيرتها فرصة لتفتح حديثاً معها منذ أخبرتها بأنهم لم يوافقوا على قصة باكستر.

الآن، عندما قالت بيكي لها بحذر إن بإمكانهما أن تتناولا الغداء في يوم آخر إذا شاءت، شعرت بالذنب لدرجة هائلة. فأرغمت نفسها على الابتسام: «كلا، أبداً. وأنا آسفة لسوء طباعي طوال الصباح. هيا بنا نذهب الآن وإذا تأخرنا في العودة، من سيهتم؟».

فقالت بيكي ضاحكة: «أحسنت».

تعويضاً عن نفورها، صممت مارشا على أن تستضيف بيكي على الغداء في «ليندونس» وهو مطعم صغير مترف على مسافة قريبة من مكان عملها. وعند وصولهما، جلستا إلى مائدة لشخصين، واتكأت مارشا إلى الخلف وتنهدت طويلاً: «آسفة على سوء طباعي اليوم».

قالت هذا بحسرة، فأجابت بيكي: «لا تقلقي بالنسبة إلى قصة باكستر. الكل يعلم أنها جيدة وأن بينيلوب أصابتها إحدى نوباتها».

فقالت مارشا بجد: «سبب هذه النوبة يزعجني أكثر من القصة».

فسألتها بيكي وهي السريعة الحدس: «أتعنينه هو؟».

فأومأت مارشا، وفجأة وجدت نفسها تخبر بيكي بكل شيء. وهو شيء لم تكن تنوي فعله على الإطلاق. حتى أنها أخبرتها عن نشأتها في الميتم، وعن المحاولتين الفاشلتين في تبنيها، إذ كانت مقتنعة بأن أمها ستعود لأجلها، وعدم قدرتها على اتخاذ أصدقاء حميمين بعد صديقتها

الحميمة في الميتم التي تبنتها أسرة. ولم تتصل بها قط بعد ذلك... أخبرتها القصة بكاملها وهما تتناولان السمك والسلطة مع البطاطا وانتهت قصتها أثناء انتظارها الحلوى.

ـ أووه...

أدهشت بيكي صديقتها وهي تميل فوق المائدة تحتضنها بحرارة وعطف صادق جعل عيني مارشا تغرورقان بالدموع بينما بيكي تقول: «وأنت ما زلت في السابعة والعشرين!».

لم تقل بيكي هذا للهزل ولكن سواء كان القلق البالغ على وجهها أم الحيرة في عينيها، هو ما جعل مارشا تضحك بدلاً من البكاء، فهذا ما لم تعرفه مارشا، وقالت: «أشعر وكأنني أكبر بعشرات السنين خصوصاً اليوم. لقد استعدت حياتي لتوي، وإذا به يظهر مرة أخرى».

فقالت بيكي: «بعض الرجال هكذا، خصوصاً إذا كانوا بجمال مظهره. يظنون أن عليهم فقط أن يؤشروا بإصبعهم لترتمي النساء في أحضانهم».

فقالت مارشا بصدق: «لم يكن عليه حتى أن يرفع إصبعه».

كانت الحلوى لذيذة للغاية مع فطيرة البرتقال والقهوة، وعندما دفعت مارشا الحساب كانت تعلم أنها وجدت صديقة حميمة جياشة العواطف.

لم يكن لديها أخت قط، كما أخذت تفكر وهما تسيران في الشارع المشمس، ولكن لو كان لها أخت لتصورتها مثل بيكي تماماً.

وعندما كانتا عائدتين بالتاكسي، قالت بيكي مفكرة: «هل أنت متأكدة تماماً من أن الشخص الذي أخبرك عن تانيا قائلاً إن هناك علاقات غيرها، ليس لديه دافع داخلي للكذب؟».

Dalyia www.Rewity.com

أومأت مارشا. كانت هي الفكرة نفسها التي راودتها أكثر من مرة منذ الليلة الماضية. لكنها لم تعرف لماذا لم تخبر بيكي بأنها أخت تايلور التي أخبرتها بذلك. كان هذا هو الشيء الوحيد الذي كتمته، ربما لأنها وعدت سوزان بألا تخبر تايلور باسمها، رغم أنه لا يمكن لبيكي أن تخبره.

- ليس عليك أن تخبريني بالاسم، ولكن هل هي امرأة من أخبرك؟

وعندما أومأت مارشا قطبت بيكي حاجبيها: «بعد رؤيتي لزوجك، يمكنني أن أقول إن هناك عنصر شك إذن».

أخذت مارشا نفساً عميقاً ثم تنهدت بإذعان. عليها أن تخبرها بهدوء:

- إنها أخته سوزان. وهي تحبه كثيراً وهو كذلك لذا لا دوافع للكذب.

نظرت بيكي إليها وقد ازداد تقطيبها. لم تقل شيئا، لكن ملامحها أوحت بأشياء وأشياء.

فحدقت مارشا فيها: «ماذا؟».

- أنت لم تعيشي قط في بيئة عائلية لذا ربما لك نظرة مثالية إلى الأخوة. صدقيني أن كونك أختاً أو أخاً لا يجعل منك قديسة بالضرورة. هنالك كل أنواع التيارات الخفية في الطبيعة الإنسانية. عندما نلت درجة جيدة في الجامعة، وكانت درجة أختي الصغرى أقل بشيء بسيط، بقيت ستة أشهر لا تكلمني.

- إننا نتحدث عن تحطم زواج هنا يا بيكي، وليس عن استياء أخت لأن أختها أخذت درجة أفضل.

- آه، صدقيني! بإمكاني أن أسرد لك قصصاً أسوأ. ليس عن أختي،

لكن عن التنافس والغيرة في الأسر.

فقالت مارشا بحماسة: «كان بمثابة الأم والأب لها طوال حياتها، وهي تعبد الأرض التي يسير عليها. حتى زوجها تعتبره في الدرجة الثانية بعد تايلور».

فغضنت بيكي أنفها: «أحقاً؟ هذا غير طبيعي».

- وكانت رائعة معي منذ أول يوم. حتى إنها كانت إشبيتي في عرسي.

- هذا لا يعني شيئاً. أنا لا أقول إنها تكذب، يا مارشا، لكن ذلك ليس مستحيلاً، لا شيء مستحيل. على الأقل فكري في ذلك.

- لماذا؟

قالت مارشا هذا وهي تقطب بحيرة إزاء عناد صديقتها. فأجابت بيكي بهدوء: «لأنك مازلت تحبينه، ونشأتك التي ذكرتها تعني أن هناك خبرة كبيرة للغاية تنقصك وهذا يجعلك ضعيفة».

فقالت مارشا بشراسة: «إياك أن تقولي إنني أفتقد الشعور بالأمان».

- لن تخرج هذه الكلمة أبداً من فمي.

مرت بقية النهار وهي في دوامة من محاولة التعويض عما فاتها من العمل في الصباح، ساخطة على معالجة بينيلوب المتغطرسة لعملها. في السابعة خرج كل من تعمل معهم عادة. والصراع الذي لم يشفه الغداء والذي تخلصت منه طوال بعد الظهر بواسطة الحبوب المضادة للألم، أصبح الآن يرسل دفقات ألم إلى رأسها.

عندما خرجت من المبنى إلى جو حزيران الدافىء، أجفلت لمواجهة عينيها أشعة الشمس الساطعة. لكنها عندما فتحت حقيبة يدها

Dalyia www.Rewity.com

وجدت أنها نسيت نظاراتها الشمسية في البيت. هذا عظيم، النهار يتحسن شيئاً فشيئاً ويبدو كأنه سينتهي بعد فترة طويلة. هذا وضجيج حركة السير يهدر في رأسها المصروع.

- هل تتأخرين دوماً في العمل بهذا الشكل؟

قفز نبضها بقوة وحبست أنفاسها وهي تلتفت لترى تايلور يقف إلى يمينها. كان يرتدي بنطلون جينز أسود وقميصاً قصير الكمين بلون عينيه، فبدا رائعاً. ابتسم لدهشتها فبدت أسنانه الناصعة القوية مناقضة لسمرة بشرته.

فكرت في جوابها لحظة أو اثنتين بدلاً من أن يخرج للتو بشكل (ماذا تفعل هنا؟)! ونظراً للصداع واليوم الذي أمضته، سرّها الهدوء الذي قالت به: «لا بد أنك تعلم دوامي ما دامت الآنسة المخبرة الخاصة تزودك بآخر المعلومات عني».

- آه...

واستحالت الابتسامة المدمرة إلى ابتسامة عريضة لا أثر فيها للندم: «كان علّي أن أتوقع هذا الجواب».

كما أن ليس عليه أن يجرب سحره عليها، فهو سيحصل على عقد جيد، هدية من بينيلوب المفتونة به، بينما هي ستمضي أسبوعين من خيبة الأمل، محاولة البحث عن مزيد من المعلومات عن مشروعها بينما الكل يعلم أن كل الطرق سلكت وهذا ليس ضرورياً على كل حال. تفجر صداعها وبدا في عينيها ما جعله يجفل بشكل ملحوظ.

- ما بك؟

تلاشت ابتسامته العريضة وأصبح صوته رقيقاً عميقاً وهو يمسك ذراعها، يقودها بعيداً عن طريق المارة الآخرين ويحجبها بجسمه وهما

يقفان بجانب المبنى.

- إياك!

ونفضت يده رافضة لمسته: «مجرد صداع».

رأى وجهها الشاحب وظلال الإرهاق تحت عينيها، ثم سألها بهدوء: «كيف سار الاجتماع؟».

نظرت إليه مباشرة: «عظيم! اتهمتني بينيلوب أمام الجميع بالتباطؤ وبأنني لست أهلاً لهذا العمل بينما هي تعلم جيداً أن القصة هي قصاص غير ذكي بسبب الأمس فكانت النتيجة تأخير القصة لأسبوعين آخرين».

- لا أرى في هذا نهاية العالم.

هذا كلام رجل يطلب أن يسير العمل عنده كالساعة، ويريد أن يحصل على ما يريد في اللحظة التي يطلبه فيها. وأجابت: «حالياً، بلى وإن كنت لا أتوقع منك أن تتفهمني ولو دقيقة واحدة. حبيبتك لئيمة في العمل، وأنا أكره أن أبدو حمقاء فقط لأنني زوجتك، وإن كانت هذه الصفة لن تدوم طويلاً».

تغيرت ملامحه حين سمع كلماتها وقال: «أولاً، هي ليست حبيبتي. ثانياً، أنا أتفهم تماماً خيبة أملك. ثالثاً، أنت بحاجة إلى حمام، ثم إلى عشاء خفيف وغرفة هادئة تنامين فيها حتى تتخلصي من كل هذا. موافقة؟».

بدا لها هذا رائعاً. لكنها لن تخبره بأنها ليست من الترف بحيث تملك في غرفتها بانيو تسترخي فيه. أو أن ثلاجتها لا تحوي شيئاً غير خسة ذاوية وبعض المعلبات: «تماماً».

وأومأت برأسها باحتراس كيلا يزداد صداعها وهي تتابع: «والآن، سامحني، لأنني أريد أن أذهب إلى بيتي».

Dalyia www.Rewity.com

- هل تنوين المشي وأنت بهذه الحالة؟

لكنها لن تمشي وتايلور في أثرها: «سأستقل سيارة».

ما قاله عن بينيلوب يشكل علامة استفهام ضخمة في ذهنها. إنها بحاجة إلى أن تنفرد بنفسها لتفكر.

قال بابتسامة مشرقة: «لا حاجة بك لذلك، سيارتي هنا. بإمكاني أن أقلّك إلى البيت بسرعة».

- لا أدري كيف أقول لك، تايلور. لا أريد أن أركب سيارتك أكثر مما أحب أن أجدك بانتظاري حين أخرج من العمل.

لم يكن هذا صحيحاً لكنه لا يعلم ذلك.

- لديك صداع فظيع يجعلك بحاجة إلى الاسراع إلى البيت وأنا لدي سيارة على بعد عشرة أمتار. الأمر يبدو واضحاً جداً لي.

أشياء كثيرة تبدو واضحة له، لكن ذلك لا يعني أنها واضحة حقاً.

أرادت أن تناقشه، لكنها كانت متعبة للغاية. وفجأة، بدا لها من الأسهل كثيراً أن تسمح له بأخذها إلى البيت وتنتهي من ذلك. فقالت: «لا بأس».

- لا بأس!

وبدت عليه الدهشة لاستسلامها.

- أنا أقدر المنطق.

قالت ذلك بتهكم مبطن، مصممة، رغم حالتها السيئة، ألا تجعل الأمر سهلاً عليه.

ما إن أصبحت داخل السيارة، آمنة من العالم الخارجي الجهنمي بضجيجه، لم تستطع أن تقاوم الرغبة القوية في إغماض عينيها. ربما أفرطت في تناول الدواء بعد الظهر كما أقرت بصمت. شعرت بأطرافها

مرهقة ثقيلة، هذا إلى شيء من الدوار والغثيان.

- أغمضي عينيك. سأسرع بك إلى البيت.

ولم يكن صوته بجانبها أكثر من دمدمة مهدئة.

لم تنتبه إلى أنها نامت، لكنها عندما سمعت تمتمة أصوات وشعرت بيد رفيقة توقظها، فتحت عينيها على وجه حنة القلق، وأدركت أنها لا بد فقدت شعورها بالرضى كما أدركت بعد لحظة أن البيت الذي كان تايلور وعدها بأخذها إليه لم يكن بيتها هي.

نظرت من خلال باب السيارة المفتوح ورأت الدرجات المؤدية إلى باب منزل تايلور. وزمجرت: «أريد أن أذهب إلى البيت».

- أنت في البيت.

وبدا وجه تايلور بجانب وجه حنة. وكان عابساً: «صحتك سيئة بحيث اضطررت إلى أخذ نبضك مرتين لأتأكد من أنك ما زلت تتنفسين، ما الذي تناولته بحق الله؟».

- دواء لوجع الرأس. آه، وإحدى الموظفات أعطتني حبتين من دوائها.

- فليساعدني الله! لقد تزوجت مدمنة.

ثم همست له حنة شيء، فسمعته مارشا يقول: «انفلونزا، صداع، مهما يكن. فهي بحاجة إلى رعاية».

أرادت مارشا أن تعارض حين حملها إلى خارج السيارة لكن ذلك لم يكن يستحق الجهد الذي ستبذله. كانت واعية إلى تايلور وهو يصعد بها السلم ثم يضعها في سرير مريح لا يشبه بحال الأريكة التي في غرفتها. لكنها عندما شعرت به ينزع حذاءها ثم سترتها، وجدت القوة لتفتح عينيها وتعترض: «ابتعد... يمكنني القيام بهذا».

Dalyia www.Rewity.com

ـ لا تفقديني صبري.

ـ أين حنة؟

ـ تحضر لك الطعام.

كانت يداه حازمتين واثقتين وعندما حاولت أن تدفعه عنها أجابها:

«نحن زوج وزوجته بحق الله. وكنت أفعل ذلك من قبل».

ـ الأمر مختلف.

ـ كيف؟

استسلمت. لم تستطع أن تناقشه. النقاش يتطلب اتزاناً، وفي النهاية خطر لها أنها حتماً قد أفرطت في تناول الأدوية.

بعد أن خلعت ثيابها، اندست بين الملاءات النظيفة واستغرقت في النوم. لكنها سرعان ما استيقظت على صوت حنة وهي تسوي الوسائد خلفها. فجلست تتناول الصينية منها: «كلي هذا كله يا حبيبتي. لا بد أنك لم تأكلي طوال النهار».

فقالت بضعف ورأسها ما زال ينبض بالألم: «بل تناولت غداءً دسماً وافياً».

نظرت حنة إليها غير مصدقة، لكن مارشا لم تكن تستطيع النقاش، بل نظرت إلى الطعام وشعرت بأنها لن تستطيع أن تأكل شيئاً. لكن حنة قالت: «سأجلس هنا حتى تأكلي هذا كله. إنها أوامر الرئيس».

ـ أنا لست طفلة.

ـ هذا أكيد يا حبيبتي.

ووضعت حنة الشوكة في يدها باسمة، وتنهدت مارشا وابتدأت تأكل حتى أتت على طعامها كله ثم استغرقت في النوم قبل أن تخرج حنة بالصينية.

٥ ـ هل تخيف الحقيقة؟

كان شعوراً رائعاً بالصحة والهناء ذلك الذي تملك مارشا وهي تستيقظ في الصباح بين الأغطية الدافئة. كانت لا تزال بين اليقظة والنوم، ومن الرضا والراحة بحيث لم تشأ أن تتحرك أو تفكر. كانت مستمتعة بالهدوء العميق والسلام اللذين كان ذهنها وجسدها مستغرقين فيه.

تنهدت بنعومة وهي تتذكر الأحلام الجميلة العذبة التي راودتها.

أحست بلمسة رقيقة تداعب وجهها، فاستيقظت فجأة مجفلة.

ـ صباح الخير يا زوجتي الحلوة.

حدقت في تايلور وقد انزاح عن عينيها ستار النوم لكن ذهنها أبى أن يتقبل الحقيقة. وفجأة، إذا بكل شيء يعود إلى ذاكرتها... الصداع، الدواء، السيارة التي أقلتها إلى البيت... ثم تملكها الذعر وهي ترى نفسها شبه عارية في السرير.

ـ هل لمستني؟ هذه حقارة.

وتشبثت بغطاء السرير مذعورة لفكرة أنه لمسها من دون علمها، ثم جرّت الغطاء إلى ما تحت ذقنها، وهي ترمقه بنظرة ملتهبة.

كان جالساً على جانب السرير دون أن ينفي التهمة، قال باسماً:

ـ لماذا؟ لأنني أحب أن ألمس زوجتي وأنظر إليها؟

ـ كنت تعلم أنني نائمة. وهذا أمر سيء للغاية.

Dalyia www.Rewity.com

وحملقت فيه رافضة الاعتراف بتأثيره عليها.

موافقته على كلامها لم تزعجه: «ربما، ولكن مظهرك أمامي كان مغرياً للغاية. وأنا لم يسبق أن ادعيت قط أنني قديس ولو في الساعة الحادية عشرة صباحاً..».

قال هذا ناظراً إلى ساعته... فهتفت كما كان يتوقع:

ـ ماذا؟ أيعقل أن تكون الساعة الحادية عشرة؟.

وأوشكت أن تقفز من السرير فتذكرت أنها شبه عارية:

ـ لماذا لم يوقظني أحد بحق الله؟ كان لدي اجتماع هذا الصباح ويفترض أن يكون تقريري على مكتب جيف عند الظهر... لا أصدق...

ـ اهدأي.

فكان في قوله القشة التي قسمت ظهر البعير، فهو يجلس هادئاً بارداً، ويتصرف وكأن عليها أن تكون مسرورة لتأخرها ساعات عن مكتبها.

ـ أين ملابسي؟

سألته مرغمة نفسها على عدم الصراخ.

ـ في رعاية حنة. رأت أن طقمك بحاجة إلى كي. وطبعاً خزانتك ملأى بالثياب في غرفتنا.

قال هذا يذكرها ببراءة ثم سألها: «كيف أصبح صداعك؟».

ـ بأحسن حال. أخبرتك الليلة الماضية أنه مجرد صداع، ولو تركتني أذهب إلى بيتي مشياً...

ـ ما كنت لتستطيعين ذلك نظراً إلى كل الحبوب التي تناولتها.

جعلها تبدو أشبه بمدمنة فاشمأزت لذلك.

نظرت إلى وجهه فرأت أنه كان يتأملها بإمعان وعناء تلمعان بشكل مثير للاضطراب. ابتلعت ريقها وقالت كارهة: «شكراً لعنايتك بأموري».

ـ بكل سرور.

ـ لكنني بحاجة إلى الاتصال بالمكتب لأشرح سبب تأخري.

ـ أنت لم تتأخري. لقد أخذت يوم إجازة لمرضك، ربما لأنهم يثقلونك بالعمل. لقد اتصلت وتحدثت مع جيف قبل كل شيء.

حدقت إليه وتغيرت ملامحها عندما استوعبت كلامه، فقالت ساخطة: «لايحق لك القيام بذلك من دون أن تسألني أولاً».

ـ كنت نائمة وقد شكرتني لتوك لعنايتي بأمورك.

ـ هذا شيء مختلف.

وتمنت لو يقف ويخرج من الغرفة، فقد كان وجوده بقربها يربكها للغاية.

سألها مقطباً بحيرة: «هل كنت تفضلين أن يعتقدوا أنك لم تتكلفي عناء الاتصال بهم؟».

عدّت بصمت إلى العشرة ثم سألته: «ماذا قلت لهم بالضبط؟».

أغمض عينيه لحظة وكأنه يحاول أن يتذكر الحديث بالضبط لكن مارشا لم تنخدع فهو لا ينسى شيئاً.

ـ بالضبط؟ إنك مرضت الليلة الماضية وإنك لن تستطيعي الذهاب إلى العمل اليوم، وقلت إنني سأتصل قبل الخامسة هذا المساء لإبلاغهم بآخر التطورات.

عظيم، عظيم جداً! الآن سيفكر جيف في كل أنواع الأمور. خصوصاً في أي سرير أمضت الليل، وهي لا يمكنها أن تلومه.

Dalyia www.Rewity.com

ـ كفى تجهماً!

كان صوته العميق الأبح يخفي ضحكاً وراءه رغم أن وجهه كان جاداً تماماً: «إذا بقيت هكذا ستغزو التجاعيد وجهك قبل أن تبلغي الثلاثين».

ـ لدي الآن بعض التجاعيد.

قالت هذا بحدة لكنها لم تشأ أن تذكر بعض الشعرات الشائبة.

ـ لكنني لا أستطيع رؤيتها.

واقترب منها يدّعي تفحص وجهها عن كثب، مالئاً الجو حولها بدفء ورائحة جسده.

حاولت أن تمتنع عن النظر إليه وإلى مدى جاذبيته وسحره فلطالما كان قادراً على تحريك إحساسها.

ـ إذا شئت أخبر حنة أنني جاهزة لإرتداء ملابسي، يمكنني على الأقل أن أبدو لائقة وقت الغداء وأسلّم التقرير بعد الظهر.

فقال دون أن يتحرك: «لن أخبر حنة بذلك».

ـ تايلور، أنا ذاهبة إلى المكتب اليوم.

ـ مارشا، لن تذهبي.

نبرته الحاسمة أنذرتها بأنه، مهما بدا هادئاً، فهو يعني عملياً ما يقول، وكذلك لمعان عينيه.

ـ يالسخافة! لا يمكنك أن ترغمني على البقاء و...

أي شيء آخر كانت ستقوله ابتلعته عندما وضع يديه حول جسدها الرشيق. حاولت أن تقاومه لكنها أدركت أن أي حركة يمكن أن تطيح بالغطاء عن جسدها، فتوقفت عن المقاومة.

كانت الحرارة تسري بسرعة في عروقها.

آه... كم افتقدته!... وما إن ساورتها هذه الفكرة حتى سمعا قرعاً مؤدباً على باب غرفة النوم.

ـ إنها حنة.

انتصب واقفاً بينما بقيت هي تحدق فيه. وأشار إلى فنجان شاي، أصبح بارداً، على المنضدة بجانب السرير: «كان يفترض بك أن تشربي هذا بينما تعد هي لك الفطور».

وعندما جاء الطرق مرة أخرى، قال لها وهو يمرّ بيده على شعرها يزيحه إلى الخلف: «هل يمكنها الدخول؟».

أبعدت رأسها عنه وهي تجيب: «طبعاً».

لماذا لم تقاومه بقوة أكثر؟ ضاقت عيناه قليلاً وهو يفكر في هذا، لكنه لم يظهر لها أنه لاحظ خيبة أملها، ونهض عن السرير قبل أن ينادي حنة لتدخل.

دخلت حنة مندفعة ودللتها مسوية الوسائد لها واضعة الصينية على ركبتيها. لكن مارشا لم تكن تمانع في اهتمام المرأة بها، فقد كانت حنة قد ترملت في وطنها جمايكا بعد زواجها بخمسة عشر شهراً. والصدمة بموت زوجها غرقاً أثناء عاصفة بحرية، جعلت طفلتهما تولد قبل موعدها بشهرين. فلم تعش سوى ساعة واحدة دُفنت بعدها بين ذراعي أبيها.

كانت حنة قد أخبرتها بقصتها هذه بعد خطبتها لتايلور مضيفة أنها بقيت بعد ذلك مدة طويلة شبه مجنونة. ثم بعد أن تزوجت أختها من أميركي غني، سنحت لها فرصة السفر إلى أميركا لتستقر في منزل صهرها.

وذات يوم، عندما استضاف الزوج تايلور لأيام معدودة، وكان

Dalyia www.Rewity.com

الرجلان قد تعارفا قبل سنوات في مجال العمل وأصبحا صديقين، تعرفت حنة إلى الشاب الإنكليزي.

عندما قدم تايلور إليها وظيفة في إنكلترا، بمباركة صهرها، بعد أن ضاق هذا ذرعاً بالشجار الدائم بين الأختين، قبلت حنة العمل. وهكذا جاءت لتعمل عند تايلور.

رفض هذا بقوة أن تشمله بأمومتها، لكن مارشا أدركت على الفور حاجة حنة الخفية للأمومة.

عندما نما العطف بينها وبين حنة، لم تخف هذه الأخيرة حنينها إلى أن تربي قدمين صغيرتين تركضان في أنحاء المنزل.

وعندما خرجت حنة من الغرفة، رفع تايلور حاجبه لمارشا: «إنها مسرورة جداً لوجودك هنا».

لم تجب مارشا، كانت جالسة والصينية على ركبتيها وغطاء السرير حولها. كانت تريد دخول الحمام وارتداء بعض الملابس قبل أن تأكل، ولن يتيسر لها أي من هذين قبل خروج تايلور.

فقال وكأنه قرأ أفكارها: «أتريدينني أن أتركك بسلام؟».

ـ نعم، أرجوك!

ـ هذا مؤسف.

ونظر إليها لحظة ما جعلها تمتلىء شوقاً: «اعتدت أن تستمتعي بالفطور في السرير معي».

ذكريات تلك الأيام بعثت الحرارة إلى وجنتيها، لكنها قالت بابتسامة سريعة: «لكنك سبق وتناولت فطورك. وتلك الأيام أصبحت من الماضي».

ـ هذا صحيح، ولكن حالياً فقط.

ـ لا أظن ذلك يا تايلور.

ـ نحن زوجان وعليّ اللعنة إذا تركتك تفلتين من يدي. كنت أرجو أن تأتي إليّ بنفسك لتعرفي الحقيقة ولكن يبدو أنني كنت أطلب الكثير.

وتقدم نحوها ينحني عليها: «مهما يكن فقد برهنت أنك قادرة على العيش من دوني، والآن يمكنك أن تختاري أن تبقى معي لأنك تريدين ذلك، وأنك تريدينني شخصياً كما أريدك أنا».

وانحنى عليها فاستسلمت لعناقه رغم توبيخها لنفسها.

لكن العناق لم يدم سوى لحظات قبل أن يقف ويقول بصوت هادىء: «والآن، كلي فطورك كالزوجة الطيبة، وانزعي فكرة الذهاب إلى العمل من رأسك. سنمضي النهار معاً. لقد أجلت صفقة مربحة جداً لأجلك، هذا عدا اجتماعين ومناقشة مع المحاسبين عندي».

فاندفعت تقول: «هل المفروض أن أكون شاكرة؟».

عاد يبتسم وهو يمسك بيدها يرفعها إلى شفتيه يقبل مكان الخاتم من إصبعها: «ربما ترفضين الشواهد الواضحة لاتحادنا، ولكن ليس بإمكانك أن تنبذي ما هو هنا..».

ولمس مكان قلبه: «وهو حبي. أنا أعرفك. أنت في كل نفس أتنفسه».

نزعت يدها من يده وقد توهجت وجنتاها وقالت ثائرة: «عليك أن تعلم أيضاً أنني لست المرأة التي تقبل الخيانة الزوجية بنداً في عقد الزواج».

ـ لو كنت كذلك لما تزوجتك أبداً.

حدقت مارشا إليه. لم تلمس في صوته أي سخرية أو تردد، والأسئلة التي راودتها بعد أن أعلنت بيكي عن شكوكها في صحة ما

Dalyia www.Rewity.com

أخبرتها به سوزان، عادت إلى ذهنها.

اشتدت أصابعها لحظة على الصينية قبل أن تحدث نفسها بألا تكون حمقاء. ليس لدى سوزان سبب للكذب. كما أن تانيا جميلة جداً، جميلة وماهرة و... متزوجة؟ لكن ذلك لا يعني شيئاً. سكرتيرة تايلور لم تكن متزوجة عندما علمت هي بعلاقتهما، وهذه نقطة عليها أن تركز عليها.

ـ سأجعلك تعتذرين عن كل كلمة من اتهاماتك هذه لي، أقسم لك.

كان وجهه مظلماً الآن، ومرت لحظة شعرت فيها بالخوف بينما تابع: «ولكن ذلك لا يقارن بما سأفعله بالشخص الذي ملأ رأسك بهذه القذارات. هذه الخطة ستنتهي اليوم بالفشل».

ـ الخطة ستنتهي؟

لم تفهم ما يتحدث عنه.

تبادلا النظرات فترة قال بعدها: «كلي وستتحدث فيما بعد».

وخرج من الغرفة.

بعد أن خرجت مارشا من الحمام دهشت لشعورها بالجوع البالغ.

أتت على طبق البيض مع اللحم والسجق وقطعتين من التوست مع الزبدة ومربى العنب ثم عادت تدخل الحمام لتغتسل. وبعد خمس دقائق كانت مغمورة في رغوة الصابون المعطر، محاولة أن تخلي ذهنها من كل شيء ما عدا المتعة التي يتقلب فيها جسدها، وإذا بها تنتصب فجأة.

لماذا لم يضعها تايلور في سريرهما الزوجي الليلة الماضية؟ كانت في وضع لا يمكنها معه مقاومة أي عرض أو تمهيد للصلح من جانبه، فلماذا لم ينتهز الوضع؟

وعقدت حاجبيها وهي تمعن النظر في الأمر.

كان بإمكانه أن يستعمل ذلك عذراً لوضعها في سريره وإن كان هذا لا يعني أنه كان يوماً بحاجة إلى عذر ليفعل ما يريد.

مضت نصف ساعة أخرى من التأمل لم تصل بها إلى جواب عدا ما هو واضح وهو أنه لا يريدها أن تشاركه غرفتهما مرة أخرى. وعندما نزلت من الحوض لم تدع هذه الفكرة تؤلمها، لأنهما بعد أسابيع قليلة، لن يعودا متزوجين. وعندما تترك هذا المنزل اليوم ستحرص على ألا تدع قدمها تطأه مرة أخرى. إنها لا تفهم تايلور كين ولم تفهمه قط، وهي لن تضيّع مزيداً من الوقت في المحاولات.

وبدلاً من أن تكون قد ارتاحت من الحمام بقيت متوترة، وأخذت تنشف نفسها بمنشفة كبيرة. وإذا بها تتوقف فجأة وهي تحدق في المرآة أمامها. إنها بحاجة إلى أن تتحدث مع سوزان. وأخذ قلبها يخفق بسرعة لهذه الفكرة التي كانت تشغل بالها منذ حدثتها بيكي بشكوكها في دوافع سوزان.

تناهى إلى سمعها حركة في الغرفة الخارجية ثم طرق على باب الحمام فأجفلت ولفت جسدها بالمنشفة ثم خرجت من الحمام.

قال تايلور باسماً: «ظننتك غرقت في الحمام».

ـ كان جميلاً أن أستحم بالبانيو من باب التغيير، فأنا لدي دوش فقط في بيتي.

فتبدلت ملامحه: «هذا هو بيتك».

سارت من جانبه، متجاهلة تجاوب جسدها مع قربه منها، ووقفت في وسط الغرفة ثم استدارت تواجهه قائلة: «هل ملابسي جاهزة الآن؟».

فقال دون توضيح: «لا، ولكن كما قلت قبلاً، لديك خزانة مليئة

Dalyia www.Rewity.com

بالملابس في غرفتنا. تعالي واختاري ما تشائين».

تصلبت. يكفي سوءاً أنها كانت في بيتها القديم هنا في غرفة الضيوف. لا تعرف كيف ستواجه دخول الغرفة التي شهدت أجمل ساعات حبهماوحنانهما ومشاعرهما المحمومة. لكنها لا تستطيع أن تظهر له ذلك، لأنه سيعتبر ذلك ضعفاً ويتصرف تبعاً لهذا.

ـ هذا حسن.

رفعت رأسها وحدقت إليه. ولوى هو شفتيه: «شخصياً أظنك تبدين رائعة بلباسك هذا.. أشبه بملابس شرقية... ملابس الحريم».

صرفت بأسنانها لما يعنيه بكلامه. لا شك أنه يعشق أن يكون لديه مجموعة من الجميلات يرقصن على أنغامه ويكنّ رهن مشيئته، ولكن عليها اللعنة إذا كانت واحدة منهن، وقالت بهدوء: «لاأظن أن لفّ الشعر بمنشفة يستحق مثل هذا التعليق».

مال برأسه ينظر إليها متسلياً: «ربما لا، ولكن بإمكان الرجل أن يحلم، أليس كذلك؟».

وفتح باب غرفة النوم ثم انحنى قليلاً: «تحت أمرك يا سيدتي».

رغم أنها كانت قد استعدت للحظة التي يفتح فيها لها باب غرفة نومها إلا أنها شعرت برجفة وهي تدخل الغرفة الفسيحة.

كانت النوافذ مفتوحة ورائحة اللافندر من الحديقة تعبق في الجو.

استقرت عيناها على السرير الكبير الذي يتوسط الغرفة بلونيه البني والعاجي، لكنها أرغمت نفسها على البقاء جامدة الوجه وهي تسير إلى خزانتها.

كل شيء كان كما تركته تماماً والعطر الذي كانت تضعه أثناء زواجها، ما زال شذاه في الجوّ.

غصت وهي تسحب بنطلوناً وقميصاً قصير الكمين وملابس داخلية وحذاءً منخفض الكعب من الخزانة. كانت لا تزال مصممة على الذهاب إلى العمل بعد الظهر لكنها لن تذكر ذلك إلا بعد أن تستعد للرحيل.

بعد أن أغلقت الخزانة أومأت لتايلور: «شكراً».

وكان هو متكئاً على الجدار البعيد، مشبكاً ذراعيه على صدره وعلى ملامحه مظهر شرود.

وتابعت: «سأراك في الأسفل».

ـ ما هو شعورك وأنت تعودين إلى هنا؟

ـ ماذا؟

فاجأها تماماً بهذا السؤال فبدا الذعر في عينيها لحظة سرعان ما سيطرت عليه قائلة: «إنها غرفة رائعة».

فقال بهدوء: «ليس هذا ماسألتك عنه».

ـ بماذا تظنني أشعر؟

شعرت بنفسها تحملق فيه الآن فنبهت نفسها إلى الحذر، فلا تحديات ولا إظهار مشاعر. فأضافت بسرعة: «أظنني حزينة قليلاً».

سطع شيء في عينيه لقولها هذا: «حزينة قليلاً؟ حزينة قليلاً كما لو أن أحشاءك تتقطع من جذورها، أم كالشعور الذي يتملكك عند حضورك فيلماً مؤثراً؟».

ـ تايلور.. لاأريد أن أجيب.

ـ أحقاً؟ طوال الوقت ونحن نفعل حسب رغبتك فإلى أين وصلنا؟ كنت أريد أن أعرف بماذا تفكرين ولو مرة طوال فترة زواجنا... كان عليّ أن أسحب الأفكار من رأسك. سئمت من ذلك.

Dalyia www.Rewity.com

حدقت إليه وعيناها تلتهبان لثورة طبعها: «أنا لم أطلب منك أن تحضرني إلى هنا. وإذا كنت قد سئمت مني، أليس الأفضل لكلينا أن أرحل الآن؟».

- أنت كالعادة لا تسمعين جيداً ما أقوله.

وبخطوة واحدة كان أمامها يمسكها بكتفيها: «أنا لم أقل إنني سئمت منك. لم أرغب قط في امرأة تتعلق بي وتعيش في ظلي عاجزة. لكنك أنت شيء آخر، وكأن هناك جداراً غير منظور حولك، ومهما ارتفعت صاعداً إليه لا أصل إلى القمة. لم أشعر طوال الشهور التي أمضيناها معاً أنني أحدثت ثغرة في الجدار الذي تحيطين به شخصيتك الحقيقية».

- وهل لهذا خنتني مع تانيا؟ لأنني لم أقع على قدميك وأعبدك كالأخريات؟

- ساعدني يا الله! هل لك أن تسمعيني يا امرأة؟ كلامي هو عني وعنك وليس عن تانيا أو أي شخص آخر. منذ عرفتك لم أنظر إلى امرأة أخرى قط.

- لا أصدقك.

- لا؟ أتدرين لماذا صدقت تلك الأكاذيب عني وعن زواجنا بهذه السهولة؟ لأنك خائفة من الحقيقة.

- أنت مجنون.

- بسببك! لا بد أنني كذلك لصبري على كل هذه التفاهات. أنت تموتين من فكرة كشف نفسك ومنحي كل شيء. هذه هي العقدة في كل هذا. أي أنك إذا وثقت بي سأخذلك... هذا ما حدثت به نفسك منذ اليوم الأول. ثم، ويا للدهشة، أخبروك بالضبط ما كنت تنتظرين أن

تسمعيه... بأنني سيء الخلق... وأنني أقيم علاقات... لابد أن هذا أفرحك.

- أنت تؤذيني.

بدت شاحبة فأجاب: «تباً لذلك يا مارشا!».

وكانت لشتيمته تلك قوة الصراخ فكادت تجفل قبل أن تتمالك نفسها.

تراجع حوالى خطوتين إلى الخلف ثم دس يديه في جيبيه:

- أمازالت تصدقين بأنني مذنب؟

سألها بصوت عابس فاتر أخافها أكثر بكثير من غضبه فأجابت دون التبصر في كلماته: «لم أعد أدري ما عليّ أن أفكر فيه. كنت واثقة... أعني لماذا قد يؤلف شخص ما أمراً كهذا؟».

هز رأسه متهكماً: «هيا لا يمكن أن تدعي أنك بهذه السذاجة. هناك مئة سبب وسبب يجعل الناس ساخطين».

لكنها أختك... أختك! وظنت لحظة أنها نطقت بذلك بصوت عال، ولكن عندما لم تتغير ملامحه أدركت أن ذلك كان في ذهنها.

- كنت أرجو، عندما أصبح لديك الوقت للتفكير في كل هذا، أنك ستبدأين بالتحقق على الأقل. ولكن لم أجد منك سوى الصمت. لا اتصال، ولا جواب على رسالتي. وهكذا حدثت نفسي بأن أصبر وأنتظر. لقد أحببنا بعضنا بعضاً وليس بإمكان أحد أن يلغي ذلك.

حدقت إليه لحظة قبل أن تدير رأسها جانباً. كان في أعماقها شعور فظيع بأن كل شيء عاد يتحرك مرة أخرى. لقد دربت نفسها على التحرر منه وإذا به يعود إلى حياتها وهي لا تريد أن تفعل ذلك.

Dalyia www.Rewity.com

أغمضت عينيها وتقبضت يداها بجانبها: «لماذا تفعل ذلك؟».

ـ لأن على شخص ما أن يفعل. أنت تتخلين عن كل ما بنياه دون أن تكافحي لأجله. وأنا أدرك ذلك الآن. لذا يعود الأمر إليّ لكي أكافح لأجلنا معاً. من الذي أخبرك بذلك؟

ـ لا... لا أستطيع أن أقول... لقد وعدت.

شتم بوحشية: «أنت وعدتني بأكثر. هل نسيت؟ وعدتني بالحب، بالصدق، بالاهتمام بي في المرض والصحة، أنت مدينة لي».

ـ تايلور، أنا..

ـ لو كان ذهني منفتحاً، لقمت بهذا العمل منذ شهور، بدلاً من الافتراض بأنك تستطيعين موازنة الأمور بالمنطق كأي إنسان عاقل.

هذا جعلها تفتح عينيها وترفع رأسها. أرادت أن تصرخ وتضرب الأرض بقدمها كطفلة. إنه يصرّ على أن يلومها هي، في حين أن الشواهد كلها ضده. هو لن يعلم قط كم تألمت عندما اتصلت بالفندق فردت عليها تانيا بصوتها المثير من غرفتهما. وقالت متوترة: «أنت لن تحب أن تعلم من الذي أخبرني. صدقني».

ـ بل أحب.

كانت عيناه تخترقان عينيها، كما زاد وجهه قساوة عما كان عليه من قبل.

حدقت إليه واسم سوزان على طرف لسانها. إذا هي أخبرت تايلور بأن أخته خانته، ماذا سيفعل ذلك بعلاقتهما؟

هو ليس بالرجل المتسامح، وهي تعلم ذلك. سواء كانت اتهامات سوزان صادقة أم لا، فهو سينبذها من حياته وسيعني ذلك أن زوجها ديل

سيخسر عمله وربما بيتهما، لأن لا أحد سيدفع راتباً لديل كما يدفع له تايلور. طبعاً إذا كانت سوزان كاذبة فهي تستحق ذلك وأكثر... ولكن إذا لم تكن؟ وتايلور؟ ماذا سيفعل ذلك به؟ إنه يحب أخته، فهي كل أسرته. آه، ماذا عليها أن تفعل؟ إنها في وضع حرج هنا، وهو كذلك. فأخته تحتل في قلبه مكانة خاصة، مثله في قلبها، وهذا ما يجعل الأمر مستحيلاً. أليس المفروض أن سوزان تقول الحقيقة؟

ـ آسفة يا تايلور!

وبقيت عيناها ثابتتين بالرغم من إظلام وجهه.

ـ فهمت.

لا... لا، إنه لم يفهم، ولكن ماذا تستطيع أن تعمل؟ عليها أن تذهب وترى سوزان في أسرع وقت ممكن. ربما الحديث معها سيجلي بعض الأشياء: «أنا.. أنا لا... لا أستطيع أن أخبرك... كنت سأخبرك لو استطعت ولكن..».

ـ انسي ذلك.

وكان صوته حاسماً وبارداً للغاية.

ـ أنسى ذلك؟

وفتحت فمها بدهشة.

ـ اذهبي وارتدي ملابسك يا مارشا.

مرت بيدها بالرغم عنها، تلمس صدره الفسيح بإشارة عاجزة تحمل الكثير من التوسل. لم تتحرك عضلة في وجهه بل كان ينظر إليها فقط بعينين ضيقتين باردتين.

عندما عادت يدها تسقط إلى جانبها، استدارت بسرعة واجتازت الغرفة، دون أن تنظر إليه مرة أخرى، متجهة إلى غرفة الضيوف وساقاها

Dalyia www.Rewity.com

ترتجفان. وفي الداخل أقفلت الباب وعيناها تحترقان بدموع لا تنسكب، وفي حلقها غصة تهدد بخنقها. لقد انتهى كل شيء بينهما، هذا ما حدثتها به عيناه.

سارت إلى السرير واستلقت عليه وهي ما زالت تحمل الملابس بين يديها. لم يعد يريدها. قال إنه سئم منها، وآخر دقيقة أثبتت ذلك. وعليها أن تكون مسرورة.

ضغطت يدها على فمها ودموعها تنهمر بسرعة وهي تهتز بحزن شاعرة بالوحشة والتعاسة والوحدة كما لم تشعر قط من قبل.

وبعد ذلك بخمس دقائق، تمالكت نفسها ومدت يدها إلى الهاتف تطلب سيارة أجرة، ثم ارتدت ملابسها بسرعة وسوّت شعرها.

لن تستطيع قضاء بعد الظهر في صحبة تايلور. إنها تشعر باضطراب بالغ. قد يبدو هذا هرباً... وربما هو فعلاً كذلك! تناولت حقيبة يدها وأخرجت مفكرة كتبت على ورقة منها كلمة قصيرة لحنة قالت فيها إنها ستتصل بها قريباً وتتفقان على مكان تلتقيان فيه. ثم نزلت السلم وتسللت خارجة من المنزل. وتملكها الارتياح لرؤية سيارة الأجرة تنتظر خلف المدخل حتى شعرت برغبة في تقبيل الرجل الأصلع خلف المقود. صعدت بسرعة وهي تعطيه عنوان عملها حتى إذا جاء تايلور في أثرها، وهذا محتمل جداً، فهي تفضل جو العمل الآمن على أن تنفرد به في غرفتها.

لم تستعد أنفاسها إلا بعد أن ابتعدت بمسافة جيدة وطوال الوقت كانت تشعر وكأن يداً ستربت على كتفها في أي لحظة وصوتاً تعرفه جيداً يناديها باسمها. وعندما أصبحت في المصعد متجهة إلى مكتبها، عند ذلك فقط أدركت أنها نجحت في الهرب.

ومن الغريب أنها، في تلك اللحظة، شعرت بأنها لم تكن يوماً في حياتها أتعس مما هي الآن.

Dalyia www.Rewity.com

٦ - رجل وحب... ووجع قلب!

- متى تظنينه سيدرك أن الطير هرب من العش؟

سألتها بيكي ذلك وهي تضع أمامها كوب قهوة.

- لا بد أنه أدرك الآن ذلك.

- هل أنت قلقة؟

فاشتدت أصابع مارشا على الكوب: «لا، ولماذا أقلق؟ إنه لا يملكني. وطبعاً لن أنتظر أن يقول ما إذا كان عليّ أن أذهب إلى العمل أم لا».

فقالت بيكي موافقة تماماً: «هذا جيد من ناحيتك. عليه أن يزحف إليك على يديه ورجليه طالباً المغفرة للمعاملة التي عاملك بها».

نظرت مارشا إليها مستغربة. أترى بيكي تغيرت منذ أمس بشكل ما، أم هي مخطئة؟ كانت تحثها على أن تشكك في اتهامها لتايلور بينما هي الآن وكأنها تريد أن تلكمه على أنفه. فسألتها بفتور: «ماذا سمعت؟».

- سمعت؟

احمر وجه بيكي وهي تجلس خلف مكتبها متشاغلة ببعض الأوراق وهي تقول: «ما الذي جعلك تظنينني سمعت شيئاً؟».

لم تعبأ مارشا بالجواب بل رفعت حاجبيها ونظرت إلى بيكي تنتظر الجواب.

مرت لحظة صمت قالت بيكي بعدها: «إنه مجرد شيء قالته

جاني».

- وما هو؟

- وقعت بينيلوب عقداً مع شركة كين الدولية. زوجك سيخرج معها للعشاء احتفالاً بذلك.

هزت مارشا كتفيها بقدر ما أمكنها من خفة: «إنها بلاد حرة».

- العشاء في مطعم «هوت سبوت».

استغرقت مارشا لحظة كي تمنع صوتها من الارتجاف: «نحن منفصلان يا بيكي. يستطيع أن يرى أي امرأة يريدها».

قالت بيكي: «لم أحب قط الرجال الطوال السمر... خصوصاً عندما يكون غرورهم قاتلاً».

نظرت المرأتان إلى بعضهما البعض لحظة قبل أن تبتسما بضعف، ثم قالت بيكي بهدوء: «سأحضر لك ما تأكلينه بينما تكتبين ذلك التقرير».

- شكراً.

مرت بقية النهار دون حادث يذكر. وأصرت بيكي على أن تتناول مارشا العشاء معها ومع زوجها، وبعد قضاء سهرة بهيجة في شقتهما، أوصلاها إلى بيتها وانتظراها في الأسفل حتى لوحت لهما بيدها من الشرفة، مطمئنة.

كان نومها تلك الليلة سيئاً ونهضت في السادسة وأخذت حماماً ساخناً طويلاً. الحمد لله أن النهار هو الجمعة وأمامها العطلة الأسبوعية تصرف أثناءها كل أمورها. إنها بحاجة إلى نزهة في الهواء الطلق لتعيد ترتيب أفكارها. لطالما كان هذا يشعرها بالتحسن في طفولتها وسنوات مراهقتها حين كانت تهرب من المدرسة الداخلية وتتسكع في أراضي

Dalyia www.Rewity.com

الميتم فتبقى هناك إلى أن يعثروا عليها.

كانت دوماً تحدّث نفسها آنذاك بأن أمها ستعود إليها يوماً مفتوحة الذراعين لتخبرها باكية كم تحبها... ولهذا السبب، كانت ترفض الرحيل عن الميتم رغم كراهيتها لذلك المكان. وعندما تركت أحسن صديقاتها الميتم واعدة إياها أنها ستراسلها وتزورها، بدأت تدرك أن ما كل ما يتمناه المرء يدركه، ولكن، حينذاك، كان الوقت قد فات.

كان التقرير عنها أنها منطوية صعبة، خرقاء غير لبقة. وبعد ذلك تحولت الفتاة الدميمة إلى امرأة جميلة خجول تعلمت أن عليها أن تعتمد على نفسها في هذه الحياة كيلا يخيب أملها إذا توقعت شيئاً من أي شخص، ولن يستطيع أحد أن يؤذيها إذا لم تسمح هي له بالاقتراب منها. ولكن لم ينجح هذا الأمر مع تايلور. فمنذ اللحظة التي رأته فيها، رغبت فيه. رغم أنها أدركت أن ذلك جنون.

أقفلت الدوش ولفت شعرها بمنشفة ثم خرجت إلى الغرفة التي كانت أشعة الشمس تتسلل إليها مبشرة بيوم دافىء آخر.

نعم، كانت تعلم أن ذلك كان جنوناً. أخذت تكرر ذلك وهي تجفف شعرها، طارحة على نفسها ألف سؤال وسؤال: هل كان يريدها هي مدى الحياة؟ هل كان بحاجة إليها كما كانت بحاجة إليه؟ هل سئم الزواج؟ أم سئمها هي؟ هذه الأسئلة سممتها منذ اليوم الأول.

لقد أصرّ على براءته تلك الليلة منذ ثمانية عشر شهراً وما زال مصراً حتى الآن. هل أرسل إليها فعلاً رسالة أوضح فيها رقم هاتف ذلك الغريب الذي سمح له بأن يشاركه غرفته في ألمانيا؟

من السهل عليه الآن أن يقول هذا بعد كل هذا الوقت.

أجفلت لرنين الهاتف بجانبها، ونظرت إلى ساعتها. من هو ذلك

الذي يتصل بها في السادسة والنصف؟

رفضت أن تعترف بأنها كانت تتوقع أن يكون تايلور، ولكن ما إن رفعت السماعة وسمعت صوته حتى أخذت دقات قلبها تتسارع. ذكر اسمها فقط وبصوت هادىء فلم تستطع أن تعرف نوع مزاجه.

- مرحباً تايلور.

سرّها أن صوتها لم يكشف شيئاً من شعورها.

- هل أيقظتك؟

بدا أن المراوغة أفضل جواب، لم تشأ أن يعرف أنها استيقظت مع الطيور وأنه كان يغزو أحلامها في النوم واليقظة. وقالت بهدوء: «إنها السادسة والنصف صباحاً، وأنا لا أستيقظ عادة قبل السابعة».

وكان هذا صحيحاً. فقال: «أنا لم أستطع أن أنام».

وكان صوته دافئاً رقيقاً مما جعله يؤثر على أعصابها بشكل جنوني.

- بقية الناس يتناولون في مثل هذا الوضع كتاباً وليس هاتفاً.

- أنا لست بقية الناس.

وكان هذا أصدق شيء قاله! وحاولت أن تتكهن أين هو. إنه لا يبدو غاضباً، لكنه دوماً كان قادراً على أن يخفي غضبه جيداً. فسألته بحذر: «ماذا تريد؟».

- أريدك أنت، لكنني أرضى حالياً بالفطور.

في أحلامه! وأرغمت نفسها على ضحكة متهكمة: «لا أظن ذلك».

- لا؟

- لا.

- آه، حسناً. أظن بإمكاني أن أقذف حجارة على نافذة السيدة تيت كولنز وأرى إن كانت ستساعدني في الدخول.

Dalyia www.Rewity.com

نظرت إلى السماعة وكأنها تحاول أن تستوعب مضمون ما قاله لتوه: «أين أنت بالضبط؟».

وسكت لحظة متعمداً: «حسناً، أنا بالضبط على الرصيف أمام مدخل المبنى الذي تسكنين فيه».

هل هو خارج المبنى ؟ مضت لحظة تملكها فيها الإغراء بأن تقول له بأن يوقظ السيدة تيت كولنز، لكنها لم تشأ أن يجلس في الطابق الأسفل ويخبر السيدة كولنز بكل شيء عن وضعها.

لذا حاولت للمرة الأخيرة: «اذهب إلى بيتك يا تايلور».

ـ كلا.

ـ ألا تهمك رغبتي بشيء؟

ـ أبداً. لقد سرنا تبعاً لرغبتك شهوراً، وعلى ماذا حصلنا؟ لم نقترب من أي حل بل أصبح الأمر أكثر تعقيداً.

ـ يمكنني أن أحصل على أمر رسمي بمنعك وبهذه الطريقة لن يعود بإمكانك أن تضايقني.

فقال متهكماً: «جربي لكنني أشك في أن أي محكمة في البلاد ستوافقك على أن تقديم عشاء لك ومساعدتك وأنت مريضة وزيارتك حاملاً فطوراً يُعدّ مضايقة».

تنفست بعمق لتكبح غيظها إزاء صوته الواثق: «سأفتح الباب».

ـ شكراً.

بعد ذلك بدقيقة طرق على الباب بخفة وكانت قد أسرعت بارتداء بنطلون أبيض مع قميص صيفي. كان شعرها المبلل يلمع كالحرير عندما فتحت الباب، ورأت تايلور محمّلاً بالأغراض وعلى ثغره ابتسامة متراخية وعيناه العسليتان تعكسان أشعة الشمس الذهبية.

ـ صباح الخير.

أمالت رأسها جانباً لتحجب عنه تأثير وجوده عليها. كان يرتدي جينز وقميصاً أسودين فبدا رائعاً. قالت مكرهة: «أدخل».

رفع حاجبه للهجتها لكنه لم يقل شيئاً بل دخل الغرفة. لم يستطع أن يخفي دهشته: «إنها غرفة رائعة».

ـ أنا أحبها.

وكانت قد فتحت باب الشرفة الصغيرة، فاجتاز الغرفة بعد أن وضع الأغراض على الطاولة، ثم أخذ ينظر من خلال النافذة إلى سطوح البيوت لحظة، التفت بعدها إليها: «هل كان عليك أن تتعبي كثيراً على ديكور الغرفة عند انتقالك إليها؟».

ـ كثيراً.

بدا غريباً أن يقف في بيتها الصغير، ولتغطية اضطرابها ابتدأت تفتح أكياس الطعام التي أحضرها أثناء إسهابها في ما أحدثت في الغرفة من تغيرات.

لقد أحضر الكرواسان الساخن كما أحضر المربى وجبناً وبيضاً مسلوقاً وبطاطس وسلطة وشمام وكيوي ومانغا وفواكه أخرى وعصير البرتقال الطازج. بالإضافة إلى باقة ورود حمراء يتقطر منها الندى.

لم تعلّق مارشا على باقة الورد بل وضعتها جانباً.

ـ هل كان لديك مانع حقاً في أن أحضر اليك الفطور؟

كان واقفاً خلفها وأنفاسه الحارة تلفح رقبتها. لكنها لم تنخدع بلهجته المغرية ولا بسحره الخاص. وقالت وهي تتخذ من إحضار الأطباق عذراً للابتعاد عنه قليلاً: «نعم، في الواقع».

ـ لماذا؟

Dalyia www.Rewity.com

استدارت إليه فوجدت نفسها تواجه صدره الصلب: «لأن هذا هو بيتي وأنا أفضل أن أدعو الزائرين».

وعندما همّ بأخذ الأطباق منها قالت: «يمكنني أن أتدبر أمري، شكراً».

ـ أنا واثق من ذلك.

ومع ذلك أخذها منها ووضعها على المائدة ثم جلس وهو يتابع: «لكن في الحياة ما هو أكثر من التدبر، أليس كذلك؟».

لم تشأ أن تدعه يستدرجها فقالت: «أنت تعلم ما كنت أعنيه».

ـ وأنت تعرفين ما عنيته. أنا شبه ميت منذ ثمانية عشر شهراً. ألا تشعرين بالشيء نفسه؟

أثناء كلامه مال بكرسيه إلى الخلف، وهذه الحركة البسيطة بعثت في داخلها مشاعر جسدية دافقة لم تستطع أن تصدقها.

ـ أنا بأحسن حال.

وحدقت إليه مباشرة رافضة أن تطرف بعينيها وهي تكذب. فقال بارتياح: «مهارتك في الكذب تحسنت، لكنك لن تصبحي قط أستاذة في هذا الفن».

ـ أرى أن غرورك ما زال حياً.

كانت قد عزمت على ألا تكشف عن أي شعور، لكن عينيها الآن تلتهبان غضباً.

حدق إليها بوجه غير معبرٍ ولكن بابتسامة خفيفة أغاظتها أكثر من أي تحدٍ.

ـ استرخي! هذا مجرد فطور. اتفقنا؟

ـ لم أتوقع منك أن تتصل بي مرة أخرى بعد الطريقة التي تركت فيها

البيت.

فقال بلطف: «أنت تعلمين أنني لا أستطيع البقاء بعيداً عنك».

ـ لكنك نجحت في ذلك طوال عام ونصف.

كانت نوت أن تجعل كلماتها جارحة، لكنها أتت كئيبة حزينة.

ـ لقد أخبرتك بالسبب. لقد فعلت ذلك كي تحللي الأمور وتري الحقيقة بنفسك وتبدأي بالمصالحة.

ـ حسناً، وهذا لم ينجح كما ترى.

فابتسم: «أحياناً أنا أفهم الأمر خطأ. المفروض أن يسرك هذا».

هزت كتفيها والتقطت طبق فاكهة وإذا به يأخذه منها قائلاً بلطف وهدوء: «أنظري إليّ! ألا ترين أنني كنت أعاني الأمرّين أثناء الشهور الأخيرة؟ ألا ترين أنني كنت نصف مجنون؟».

أثناء حديثه، مرر أصابعه على خدها بينما ضمها بذراعه الأخرى إلى جسمه الدافىء. فقالت: «دعني».

أتى اعتراضها ضعيفاً واهناً لكن كليهما أدرك ذلك. قال بصوت أرقّ وهو يتأملها: «كنت أتوق إلى أن ألمسك، أشعر بك، أشمك... ولم أفكر في غير هذا. عندما كنت في ذلك النزل البائس، اعتدت أن آتي آخر الليل وأوقف سيارتي على مسافة أمتار، فقط لأشعر أنني قريب منك. ما نسبة هذا إلى الجنون؟ ثم، عندما انتقلت إلى هنا، رفعت الهاتف للاتصال بك لآلاف المرات».

ـ ولماذا لم تتصل؟

ـ ظننتني أفعل الأفضل لنا معاً، لأجل مستقبلنا. أولئك الذين سمموا حياتنا يجب أن يلقوا جزاءهم.

وطبع على جبينها قبلة رقيقة سلبت منها عقلها.

Dalyia www.Rewity.com

ـ أنت امرأة رائعة! أتعلمين هذا؟ فيك كل ما أريده.

وشدّها إليه بذراعيه، فتلهف جسدها شوقاً إليه. بينما عاد فكرها إلى الوراء مسترجعاً أيام الماضي العذبة.

ـ يا للجمال الرائع! . . . جمال آسر للقلب.

لم تستطع إلا أن تتجاوب معه وهي تتأوه والأحاسيس الحارة تنبض في جسمها وكأن نيراناً تسري فيه.

كان في داخلها جوع لا يشبعه سوى قربها منه، وانفجر العالم من حولهما في موجة من الأضواء والألوان والأحاسيس ولم يعد للزمن معنى، لا بماضيه ولا بمستقبله وحتى الحاضر لم يكن يتألف إلا من دوامة المشاعر هذه التي تملكتها.

كان رأسها ملقى على عنقه القوي وهو يحتضنها ويطبع قبلات صغيرة محرقة على جبينها.

أراح رأسه على الوسادة وهو ما زال يحتضنها: «أحبك يا حبيبتي. إياك أن تشكي في ذلك لحظة».

لقد سمحت لتايلور بمعانقتها وباحتضانها! لا . . . لم تسمح له فقط، بل شجعته. توسلت إليه. . . كما أخذت تعترف صامتة وقد تملكها الخزي.

ـ حان الوقت لتقولي إنك تحبينني أنت أيضاً. نحن متزوجان ولا بأس في أن تقولي إنك تحبينني.

فقالت محتجة: «لكننا . . . منفصلان».

أبعد وجهه عن وجهها يتأملها، ثم قال بصوت هازل كسول: «هذا صحيح، ولكن بإمكاني تصحيح ذلك إذا شئت».

امتلأ جسدها شوقاً وتوهج وجهها احمراراً. كانت منذ شهور

تحدث نفسها بأن بإمكانها أن تجدد حياتها من دون تايلور. فهي الآن امرأة عاملة وستركز على مهنتها، فهي ليست بحاجة إلى الرجال والحب ووجع القلب.

ماذا حدث لكل أفكارها العظيمة ومبادئها؟ حدث أن عاد تايلور. وبإشارة إليها بإصبعه الصغير بعد ثمانية عشر شهراً من الصمت، ألقت بنفسها بين ذراعيه.

ـ ما كان لنا أن نفعل هذا، فهو يعقد الأمور فقط.

فقال: «أشك في أن الأمور يمكن أن تزداد تعقيداً».

ـ طبعاً يمكنها ذلك.

لم يعارضها هذه المرة، بل نهض من مكانه والهزل في وجهه وهو يرى الذعر في عينيها. وبعد لحظة قال بهدوء بالغ: «أموت جوعاً، هل نأكل؟».

هل نأكل؟

الرجال هم فعلاً جنس مختلف من الأحياء.

وإذ رأى عينيها المتسعتين استغراباً، قال لها: «نحنا زوجان يا مارشا لأجل الله. أم أن هذا الأمر نسيته لطول الغياب؟».

هي لم تنس شيئاً يتعلق بتايلور. . . لا شيء! أتراه جاء لكي يعرقل سير الطلاق؟ هي لا تستبعد ذلك، لا تستبعد شيئاً أبداً.

إنها تحبه ولم تتوقف عن حبه قط حتى وهي تحدث نفسها بأنها تكرهه لما فعله. ولكن هل تثق به؟ هل تعتقد حقاً أنه كان مجرد رئيس لتانيا لا غير؟ هل تصدق بأنه لم يعرف امرأة أخرى منذ عرفها؟ أرسل الجواب قشعريرة كئيبة في كيانها.

نظر إليها بملامح خالية من التعبير وقال بهدوء: «لا أستطيع أن

Dalyia www.Rewity.com

أحملك وأخرج بك، وأنت ترفسين وتصرخين، من مكان الظلال هذا الذي تعيشين فيه إلى العالم الحقيقي. ولا يمكنني أن أريك شعوري بوضوح أكثر مما فعلت. إنك تحطمينا نحن الاثنين، وأنت تعلمين هذا. تلقين بعيداً بشيء ينبغي أن يدوم طوال الحياة وما بعدها. أنا أعلم أن ما فعلته أمك كان قاسياً، وكل ما تبع ذلك، ولكن عاجلاً أم آجلاً عليك أن تقرري ما إذا كان هناك ما يستحق النضال لأجله. فإذا كان هناك، علينا أن نكون في رأس القائمة».

- لم أطلب منك أن تأتي هذا الصباح.

- لا، لم تفعلي، لكنني جئت على أي حال، وهذا ينبغي أن ينبئك بشيء ما. هناك نساء كثيرات يمكنني أن أدعوهن لتناول الفطور. أنا لا أريد التسلية إنما أريد الحب. هناك فرق شاسع بين الإثنين. ألا ترين ذلك؟

حملقت فيه بعينين متسعتين: «لم أعد أعرف ما أفكر فيه. أنا..».

- مشوشة الذهن، أعلم. ولكن يبقى هذا أفضل من الثبات على الخطأ. ربما ما زال هناك أمل فيك. والآن لنأكل.

- لست جائعة. سأدخل إلى الحمام أولاً.

دخلت إلى الحمام وأقفلته خلفها. كان جسدها مفعماً بالمشاعر والأحاسيس التي خالت نفسها قد نسيتها.

نظرت إلى نفسها في المرآة قبل أن تخرج ثم تأوهت بنعومة. كانت تبدو كامرأة مغرمة وهي ستخفي ذلك المظهر حالما تخرج.

تنفست بعمق ثم خرجت إلى الغرفة، وإذا بها تقف جامدة. كانت الغرفة خالية. لقد رحل. نظرت حولها وكأنها تتوقع منه أن يقفز من وراء الأريكة. ثم رأت ورقة على المائدة وإلى جانبها وردة. كتب لها:

- آسف لقد تلقيت اتصالاً مستعجلاً. سنتحدث فيما بعد.

غاصت مارشا في كرسيها وقلبها مثقل. كان يمكنه أن ينتظر عدة دقائق حتى تخرج من الحمام. هل ندم على مجيئه إليها؟ أم ظن أن من الأسهل عليها أن يرحل قبل خروجها من الحمام؟

ليس ثمة تفسير عقلاني يمكن أن يعطيها الجواب.

تايلور فقط يمكنه ذلك وهي لا تستطيع أن تسأله. وضعت من يدها الوردة والورقة، وحدقت في الوردة الحمراء لحظة طويلة. لقد تركت تايلور هذا الصباح يدخل عقلها وجسدها. تصرفت عكس كل ما حدثت نفسها به أثناء الأشهر الثمانية عشر الماضية فمنحته بذلك رسالة الله وحده يعلمها. إنها مجنونة تماماً.

كوب قهوة ثقيلة ثم ترغم نفسها على تناول شيء من هذا الطعام. إنها تريد أن تكون متمالكة نفسها تماماً حين تذهب لزيارة سوزان هذا الصباح. حان الوقت لذلك، أو ربما تأخر، فكما قال تايلور ما زال هناك أمل لعلاقتهما.

قطبت جبينها، كارهة أن تعترف بمدى حاجتها إليه. من اللحظة التي دخل فيها حياتها، أدركت أنها لن تحب أحداً سواه. كان تايلور جزءاً منها. كان يسري في دمها، في عظامها وكل ما فعلته لتنساه لم ينجح.

كان زواجهما رائعاً في البداية... وتركت ذهنها يعود إلى تلك الأيام الذهبية بشكل لم تفعله منذ وقت طويل لأن ذلك كان مؤلماً للغاية. كانت تعشقه فقد كان صادقاً وبالغ الرقة والحنان معها.

دفعت شعرها إلى الخلف وقد غامت عيناها من الذكريات الـ تزاحمة.

Dalyia www.Rewity.com

كانت علاقتهما عنيفة ملتهبة... وتنهدت من أعماقها. ما زال جسدها يحمل ذكريات حبها وأشواقها وبقايا مشاعرها المحمومة.

لماذا ما زالت تحن شوقاً إلى لمساته وحبه بعد ما عرفته عن ثانيا أو ما تظن نفسها عرفته، كي تكون منصفة؟

لأنها أحبته بشكل لا يمكنها معه أن تحب سواه. دخلت هذه الفكرة في ذهنها فأحنت رأسها وهي تئن، ثم رفعته والتصميم في ملامحها، وقد ضاقت عيناها. ستذهب لترى سوزان وتحتمل كل ما يأتي به اجتماعهما. إنها مدينة بذلك لنفسها، إن لم يكن لأجل تايلور.

٧ ـ خيط الأمل الوفيع

كان منزل سوزان الفسيح مغموراً بشمس الصباح عندما ترجلت مارشا من سيارة الأجرة وأخذت تتأمل المبنى.

كان المنزل محاطاً بالمروج المشذبة والأشجار والأزهار الملونة.

كانت مارشا قد اتصلت بسوزان هذا الصباح، وبدا واضحاً أن المرأة تنتظرها، إذ انفتح الباب الأمامي فجأة وخرجت سوزان باسمة: «مارشا! ما أجمل أن أراك، تفضلي».

عندما وصلت مارشا إلى سوزان أخذتها هذه في عناق قصير هادىء، ثم دخلت إلى الردهة الأنيقة.

سارت سوزان أمامها إلى غرفة الجلوس الفسيحة ذات الأثاث الثمين. تذكرتها مارشا منذ كانت تعيش مع تايلور، وكان الأخ وأخته قد حصلت بينهما عدة مشاحنات كلامية بسبب أسعار بعض قطع الأثاث التي وصل ثمنها إلى مئات الألوف من الجنيهات، وعندما جاءت سوزان باكية إلى أخيها تشكو من عدم قدرتها على سداد ثمن ما اشترته، سدد هو دينها، ولكن ليس قبل أن يوضح لها استياءه من هدرها للمال الذي هو في الأصل، ماله هو.

جادلته سوزان وبكت واستاءت للغاية فذهبت إلى عطلة اسبوعية في أحد المنتجعات وهي في ذروة الاستياء من تايلور ومن زوجها.

خلال تلك المشاجرة، رأت مارشا أن علاقته بأخته هي علاقة أب

Dalyia www.Rewity.com

بابنته أكثر منها علاقة أخ بأخته. وذات ليلة، بعد أن استقرت الأمور، حدثها بأن أباهما كان مجرد عابر سبيل في حياتهما، حتى قبل أن تموت أمهما، فاستلم مسؤولية سوزان منذ الطفولة. وقد فسر هذا كثيراً من الأمور مثل شغف سوزان بأخيها، وتساهله هو نحو نزواتها أحياناً في متطلباتها الفاحشة.

- لقد افتقدتك.

قالت سوزان هذا لمارشا وهي تضع يداً باردة على ذراعها بعد أن استقرتا في قاعة الجلوس. وبعد لحظة دخلت مديرة المنزل بصينية القهوة.

وعندما خرجت المرأة، انحنت سوزان إلى الأمام وقد بدت عيناها اللتان كانتا نسخة باهتة عن عيني تايلور العميقتين، دافئتين على غير العادة: «كيف تسير الأمور، يا مارشا؟».

شرحت مارشا لها باختصار، عن وظيفتها وبيتها وكانت سوزان تستمع بإمعان.

- وهل أنت مستمتعة بعملك؟ هل أنت سعيدة؟

كان في لهجة سوزان نوع من الإلحاح أدهش مارشا التي ابتسمت برقة لاهتمام المرأة بها وقالت:

- نعم، أنا أحب عملي لأن فيه تحدياً ومكسباً، وكل يوم فيه مختلف.

- ولكن هل أنت سعيدة؟

رشفت قهوتها وهي تفكر... ليس من عادتها أن تكشف عن مكنونات قلبها، وهي غير مستعدة لذلك الآن وتقول إنها سعيدة. صحيح أنها راضية بالحياة التي صنعتها لنفسها. ومع ذلك الرضا، ازداد

احترامها لنفسها عن ذي قبل، ولكن بالنسبة إلى السعادة... تايلور هو السعادة، والمتعة هي تايلور.

وضعت الكوب مكانه وهي تتمالك نفسها: «السعادة أمر نسبي ولكن هل أستطيع أن أخبرك لماذا جئت اليوم؟».

- شيء يتعلق بتايلور كما أظن.

- هل أخبرك أنه جاء ليراني؟

وتملك مارشا شيء من الدهشة، ذلك أن سوزان وتايلور متقاربان للغاية، لكنها، لأمرما، ظنت أنه سيكتم أمر الأيام الماضية إلى أن يصلا إلى حل.

أومأت سوزان وعيناها مسمرتان على وجه مارشا: «قال... قال إنك ما زلت مصرة على عدم العودة إليه. هل هذا صحيح؟»

فعادت مارشا تقول مراوغة: «سوزان. أريد فقط أن أراجع معك بعض الأشياء..».

وسكتت فجأة. لم تعرف كيف تقول ما تريد: «إنه بالغ العناد في إنكاره علاقته مع تانيا أو أي امرأة أخرى، لا قبل ولا بعد انفصالنا. هل يمكن أنك كنت مخطئة؟».

استمرت سوزان تحدق فيها لحظة قبل أن تسبل جفنيها لتتناول فنجانها، ثم قالت بفتور: «لقد اتصلتِ بنفسك بالفندق».

تشنجت معدة مارشا. كانت متلهفة إلى شعاع من الأمل وقد أدركت هذا الآن: «أعلم هذا. يقول تايلور إن الحجز كان خطأ، أعني بالنسبة إلى الغرفة المزدوجة له ولتانيا: يقول إنه أخذ السرير الوحيد الذي كان خالياً في غرفة رجل آخر معه في المؤتمر. وأكد لي أنه كتب لي رسالة يخبرني فيها بكل بشيء..».

Dalyia www.Rewity.com

رفعت سوزان رأسها وبدا وجهها متوتراً: «ماذا تريدينني أن أقول يا مارشا؟ أنت قررت أن تتركيه حينذاك وأنا لا أرى ما الذي تغير».

بادلتها مارشا النظر لحظة طويلة، ثم عادت تغوص في الأريكة واضعة يدها على جبينها. كانت تتعلق بقشة، ولكن من الواضح أن ليس لدى سوزان شك في خيانة تايلور.

ـ أنا... أنا أريد أن أصدقه.

قالت مارشا هذا بصوت مختنق ودموعها تنهمر بالرغم منها.

ـ آه، أنا آسفة حقاً يا مارشا.

وفجأة أصبحت سوزان بجانبها تحتضنها: «لكنك أخبرتني لتوك عن حياتك الرائعة التي صنعتها لنفسك من دونه. ستكونين على ما يرام. أنت بالغة الذكاء والجمال... واللطف».

وعندما تهدج صوت سوزان وأخذت تبكي معها أدركت مارشا أن عليها أن تستعيد اتزانها. ما كان لها أن تأتي إلى هنا اليوم، فهذا لا ينفعها بشيء... سوى أن يفتح الجرح القديم لينزف من جديد.

ابتعدت عن سوزان بقدر إمكانها من رباطة الجأش وهي تقول بصوت ما زال باكياً: «أنا هي الآسفة يا(سو). جئت إلى هنا وكدرتك بعد كل ما فعلته لأجلي. لا بد أنه كان صعباً عليك أن تخبريني عن تانيا وكل شيء، رغم حبك الشديد لتايلور. عليّ أن أذهب الآن».

فقالت سوزان بلهفة: «لا، لا. لا تذهبي. ابقي قليلاً، أرجوك! خذي مزيداً من القهوة، وستتحسنين».

لا يمكن أن يكون شعورها أسوأ مما هو. وحاولت مارشا أن تبتسم وهي تومىء برأسها.

ـ لقد افتقدتك كثيراً يا مارشا، صدقيني! وكثرة الأصدقاء لا تعني

بالضرورة أنهم الأفضل.

قالت هذا بمرارة جعلت الدهشة تنسي مارشا تعاستها، فوضعت يدها على ذراع سوزان: «هل من خطب؟».

ـ أجل! ولكن هل هناك حياة كاملة؟

وتشاغلت بإعادة سكب القهوة.

أصبح الحديث الآن متكلفاً، فقد أخذت مارشا تخبر سوزان بالمزيد عن شركة التلفزيون، وكيف يسير العمل. كما حدثتها سوزان عن آخر مسرحية أو فيلم رأته.

وعندما وقفت مارشا لتخرج أمسكت سوزان بيديها قائلة: «لا أظنك أخبرت تايلور عني...».

فهمت مارشا ما تحاول أن تقوله سوزان، فالتوت ابتسامتها وهي تهز يدي سوزان بلطف: «طبعاً لم أخبره. فقد وعدتك، ونحن صديقتان، أليس كذلك؟ بل أكثر من صديقتين. نحن أسرة واحدة».

لمعت عينا سوزان ثم اغرورقتا بالدموع. ولأكثر من مرة منذ زيارة مارشا لها، أدهشت مارشا بضمها إليها بعنف. لم يكن من عادة سوزان إظهار مشاعرها بهذا الشكل حتى مع ديل. والشخص الوحيد الذي كانت سوزان تحتضنه من كل قلبها هو تايلور وحتى هذا كان بشكل مختصر.

هناك خطب ما حتماً، وخطب هام جداً! إنها تشعر بذلك، فحاولت لآخر مرة: «هل تشعرين بأنك بخير يا(سو)؟ تبدين على غير عادتك».

تراجعت سوزان على الفور ومسحت دموعها بيدها: «شكراً، لكنني بخير، يسرني فقط أن أراك وهذا كل شيء».

وابتسمت!

Dalyia www.Rewity.com

إنها لا تستطيع أن تفرض على سوزان الإفضاء إذا لم تشأ الحديث، وابتسمت لها وقالت مداعبة: «أنت افتقدت فقط جولات التسوق تلك التي اعتدت أن تجرّيني معك إليها، هذا كل شيء».

فقالت سوزان بكآبة: «كنا نمرح معاً أليس كذلك؟».

ـ كثيراً.

وللمرة الأولى لاحظت مارشا أن نحافة سوزان تجاوزت الحد. صحيح أن سوزان شديدة الحرص على رشاقتها ولكنها الآن هزيلة بشكل واضح.

كانت مارشا قد اتصلت قبل دقائق لتطلب سيارة أجرة وعندما فتحت المرأتان الباب وجدتاها أمامه.

ابتسمت مارشا لسوزان، مصممة على أن تفترقا بشكل مشرق: «أتمنى لك وقتاً طيباً. سرني أن أراك مرة أخرى، انتبهي إلى نفسك».

ـ وأنت أيضاً، أتمنى لو تركتني أوصلك بنفسي.

لكن مارشا كانت بحاجة إلى الانفراد بنفسها: «لا ضرورة لذلك. إذا أنا تحدثت إلى تايلور، لن أقول له عن زيارتي لك. اتفقنا؟».

فأومأت سوزان: «إلى اللقاء يا مارشا».

ما إن جلست في التاكسي ومالت لتغلق الباب حتى رأت سوزان بجانبها: «هل يمكننا أن نتقابل أحياناً؟ نتناول الغداء معاً وما شابه؟».

قالت هذا باللهفة التي كانت مارشا لاحظتها من قبل أكثر من مرة.

لم تعرف مارشا ما تقول فقد اقتلع هذا اللقاء قلبها من جذوره مرة أخرى، ولكن كان واضحاً أن علاقتهما هامة بالنسبة إلى سوزان. أمسكت يد سوزان الباردة: «أنا بحاجة إلى أن أجعل تايلور يفهم حقاً كل شيء، ونهائياً. عندما يتم الطلاق سأشعر... بأن كل شيء أصبح

سهلاً. وعند ذلك ستتلاقى إذا شئت».

واغرورقت عيناها بالدموع بالرغم منها وهي تقول ذلك، فاضطربت سوزان وتمتمت: «ما كان لي أن أسألك».

ـ بل عليك ذلك طبعاً، إننا صديقتان، والأصدقاء لبعضهما البعض عند الحاجة، مهما حدث. إلى اللقاء.

وضغطت على يد سوزان لآخر مرة.

اغلقت سوزان باب السيارة دون أن تقول المزيد. وعندما ابتعدت السيارة، لوحّت مارشا لها بيدها.

ثم أغمضت عينيها وهي تتنهد. يكفي آمالاً! كانت غبية حين ظنت أن سوزان ستقول شيئاً غير الذي قالته منذ ثمانية عشر شهراً. لم تعرف لماذا جاءت إليها الآن. وكما قالت ليكي، سوزان هي أخت تايلور وهي تحبه حتى العبادة. ولا بد أن تجزئة الولاء بينها وبين تايلور هي معركة حقيقية بالنسبة إليها.

عليها أن تتقبل فكرة انفصالهما، وأن النهايات السعيدة لا تحدث سوى في الحكايات أما الحقيقة فمختلفة والناس الحقيقيون مختلفون، جميعهم مثل أمها وصديقتها في الميتم... ومثل تايلور.

لكنها كانت تظن تايلور غير عادي، لقد جعلها تؤمن بالنهايات السعيدة، ظنت أنهما سينشئان أسرة لهما... أسرة ستكون آمنة قوية، ومتضامنة. لم تكن تريد أن تمضي بقية حياتها وحدها.

ـ هل أنت على ما يرام يا عزيزتي؟

أعادها صوت السائق إلى دنيا الواقع فأومأت بسرعة: «نعم، شكراً».

ـ يظهر أنك متأثرة بالجو قليلاً.

Dalyia www.Rewity.com

ـ أنا بخير.

ـ الأنفلونزا شائعة كما تعلمين. أصيبت زوجتي بها منذ أسبوعين، واثنين من أطفالي خارج المدرسة الآن. أظن الأصغر لا يحب المدرسة، و...

أومأت مارشا محاولة أن تكون مهذبة، وهي تتمنى أن يقتصر على قيادة السيارة.

لا بد أنه فهم لأنه اقتصر فعلاً على قيادة السيارة.

كانت قد اتصلت بجيف في بيته في الصباح الباكر قائلة إن أمراً غير متوقع حدث فهي تريد أن تأخذ يوم إجازة إذا كان هذا ممكناً.

ـ مشاكل؟

وعندما أخبرته بأنها أمور شخصية قال إن لا حاجة بها إلى أن تستعمل أيام إجازتها. ولكنه تمنى عليها أن تأتي ساعة أو ساعتين في نهاية اليوم إذا كان هذا ممكناً.

رأت الآن أنها مسرورة للذلك. لأن وظيفتها كثيرة المتطلبات وهذا بالضبط ما تحتاجه. التفكير في الذهاب إلى غرفتها الخالية ملأها ذعراً. ستذهب إلى المكتب قبل الغداء مباشرة وستحرص على ألا تخرج منه إلا وهي مرهقة. وبهذه الطريقة تضمن أنها ستنام حالما تصل إلى بيتها.

كانت معتوهة حين زارها تايلور هذا الصباح، لكنها لن تقترف نفس الغلطة مرة أخرى. واشتبكت يداها معاً وهي تتذكر عناقه. والتهبت وجنتاها ذلاً لسهولة إغوائه لها. من الآن فصاعداً لن تدخله إلى بيتها ولو هدّد بأن يوقظ الشارع بأكمله.

غداً سترتب أمر مقابلته في مكان ما. وستعلن له بوضوح أن دعوى الطلاق تسير في مجراها.

ولكن كيف يمكنها العيش من دونه؟ وكيف يمكنها أن تعيش بقية حياتها وهي تعلم أنه في هذا العالم؟ وأنه يسير ويأكل ويتنفس ويحب... ولكن ليس معها؟

كفى هذا!.. وفتحت عينيها بحدة غاضبة من نفسها. لقد عاشت ثمانية عشر شهراً من دونه ويمكنها أن تستمر من دونه.

قد يكون خلاباً وحنوناً وجذاباً، لكنه أيضاً قاسٍ ومتغطرس وصلب حين يشاء.

والمزايا التي تجذبها إليه تجذب نساءً أخريات، وهي لا تريد أن تمضي بقية حياتها تتحكم فيها الغيرة وتنهش قلبها. على قرارها هذا أن يكون حاسماً هذه المرة. إنها طبعاً ستستمر في حبه دوماً، لكنها لن تدع تايلور يعلم هذا.

ومرة أخرى انتزعت نفسها من أفكارها بقوة إرادتها. عليها ألا تدع ذهنها يشرد لحظة واحدة وعليها أن تحرص على سيطرتها على نفسها وإلا انتهت في مصح عقلي. لقد اتخذت قرارها الوحيد منذ عام ونصف ولم يتغير شيء. وليس بإمكانها أن تمضي حياتها متسائلة متى سيتعب منها نهائياً، عندما تدخل امرأة أخرى قلبه وعقله وروحه. العيش وحدها بقية حياتها هو أفضل من هذا.

لن تدع نفسها تصبح ضحية! امرأة من النوع الذي يصبر على الإذلال من أجل الحب.

ـ وصلنا يا آنسة.

عندما وقفت السيارة أمام مبنى التلفزيون نزلت منها مارشا ودفعت للسائق أجراً سخياً تعويضاً عن عدم رغبتها في الكلام معه.

لقد صنعت حياة لنفسها وهي حياة جيدة. ويجب أن تكون كافية.

Dalyia www.Rewity.com

٨ - يوم فقدنا الحب

- مارشا، لم أتوقع حضورك اليوم.

ابتسمت بيكي لها عندما دخلت المكتب، الأمر الذي هدأ مشاعرها المؤلمة. على الأقل سكرتيرتها تحبها، فكرت في ذلك شاعرة بالرثاء لنفسها وقالت بهدوء: «حللت مشاكلي بأسرع مما توقعت».

- حللت مشاكلك؟ قال جيف إنه ما كان عليك أن تحضري في الأمس كما لم يكن موافقاً على هذا النهار.

وشعرت مارشا بوهج دافىء في قلبها المثقل. أحياناً يكون الناس لطفاء للغاية: «سمعت نصيحتك وذهبت لزيارة أخت تايلور».

لم تشأ أن تخبر حتى بيكي بزيارة تايلور الصباحية لها لتناول الفطور معها.

- و؟

- لا شيء. كانت لطيفة للغاية ومتكدرة جداً، ولكن هذا كل شيء. الحقيقة تبقى الحقيقة مهما قال وفعل.

- أمتلهفة أنت للعمل؟

- تماماً.

جلست مارشا أمام مكتبها وأخرجت رزمة من الأوراق وضعتها أمامها. لم يعد هناك ما يقال.

عندما عادت بيكي بالطعام، أكلت مارشا شطيرة وتفاحة على

مكتبها. ولكن كان عليها أن ترغم الطعام على الانزلاق إلى جوفها. وكان جيف قد أطل برأسه حالما دخلت إلى المكتب قائلاً إنه مسرور برؤيتها، بعد أن ألقى بملف أمامها وأمرها بأن تتوقف عن كل عمل آخر على الفور.

وبعد أن تصفحت مارشا الأوراق، أدركت أنها ستشغلها طوال العطلة الأسبوعية.

كانت مستغرقة في مطالعة الوقائع والأرقام عندما قفزت بيكي أمامها:

- أيمكنك أن توقعي هذه رجاء؟

قالت هذا بصوت عال ثم همست: «هو وبينيلوب في الممر خارجاً».

تشنجت معدة مارشا، لكنها استطاعت أن تبقي رأسها منحنياً وهي تمد يدها إلى الورقة البيضاء التي وضعتها بيكي أمامها.

أخذ قلبها يخفق. وانتظرت أن ينفتح الباب، ولم يخب أملها. دخلت بينيلوب أولاً في غمامة من العطر وقالت: «أظنه في الداخل».

ثم توجهت إلى باب مكتب جيف.

- لحظة واحدة، يا آنسة بيلهام.

قالت مارشا ذلك ووقفت أمام باب جيف بسرعة متجاهلة الرجل الأسمر خلف المرأة وهي تقول: «ارتاحي من فضلك بينما أرى إن كان السيد جيف يستطيع استقبالك».

وقفت بينيلوب ودارت على عقبيها تقول: «حقاً!».

لكنها لم تشدد على الأمر مدركة جيداً أن هذا ما يجب فعله بالضبط.

Dalyia www.Rewity.com

قرعت مارشا باب جيف ثم دخلت وأغلقته خلفها قبل أن تقول: «الآنسة بيلهام والسيد كين في الخارج».

ـ ماذا؟

كان جيف مستغرقاً في تحضير الميزانية المعقدة التي سببت له صداعاً منذ أيام.

كان يكره بينيلوب بقدر ما كان يعزّ مارشا وكان يرى أن كين بحاجة إلى فحص دماغ. لم يكن يعلم ماذا جرى في الزواج... ولكنه كان واثقاً من أن (العمل الشخصي) الذي حدثته عنه مارشا له علاقة به. وسألها برقة:

ـ هل أنت على ما يرام؟.

نالت بابتسامة مرتجفة: «الحمد لله».

ـ أتعلمين أنك كثيرة على ذلك الرجل؟ دعي بينيلوب تنشب مخالبها فيه فترة وسرعان ما يتمنى لو أن أمه لم تلده.

فقالت باسمة: «شكراً يا جيف. هل أدخلهما؟».

فأومأ مضيفاً: «ودعي بيكي تحضر القهوة من فضلك. بينيلوب تحب الزرنيخ مع القهوة».

ـ آه، يا جيف!

كان لطفه معها زائداً، لا سيما في أحرج أوقاتها. وعندما ارتجفت شفتها السفلى أسرع جيف إليها: «هيا، ما من رجل يستحق دموعك».

وأحاط كتفيها بذراعه يخفف عنها ويخرج من جيبه منديلاً أبيض يعطيها إياه باسماً بعطف: «ارفعي رأسك، ولا تجعلي أياً منهما يشمت بك».

ـ سأحاول.

ـ أحسنت.

ـ آه، آسفة. أتراني قطعت عليكما شيئاً؟

جعل صوت بينيلوب البارد رأسي مارشا وجيف يلتفتان في وقت واحد. لم يسمع أي منهما الباب ينفتح لكن بينيلوب كانت واقفة تحدق بهما بعينين متقدتين، وتايلور خلفها. تأوهت مارشا داخلياً، لكن جيف تعمد أن يبقى على وضعه العاطفي لحظة أو اثنتين قبل أن يزيح ذراعه عن كتفيها متباطئاً وهو يقول: «ستتحدث فيما بعد يا مارشا، اتفقنا؟ والآن إذا شئت أن تبلغي بيكي بأن تحضر القهوة...؟».

ـ بالتأكيد.

وامتثلت لنصيحة جيف فرفعت رأسها قائلة: «تفضلا بالجلوس».

تركتهما يدخلان الغرفة قبل أن تهم بالخروج ومع أنها لم تنظر إلى تايلور إلا أنها أحست بذبذبات مظلمة تنبثق من جسده. وحالما أغلقت الباب خلفها سمعت بينيلوب تهمس بصوت مسموع: «جيف، أنا آسفة للغاية. لم يكن لدي فكرة. ظننت أن مارشا كانت فقط تخبرك عن قدومنا. إذا كنا أحرجناك بأي شكل..».

أدركت مارشا أن بينيلوب كانت تصب الزيت على النار.

كانت بيكي واقفة عند مكتبها والضيق بادٍ على وجهها: «لم أستطع أن أمنعها من الدخول يا مارشا، فقد تمتمت شيئاً عن عدم رغبتها في انتظار أي كان، ثم فتحت الباب قبل أن أدرك ماذا تفعل».

ـ لا تهتمي يا بيكي فهذا ليس ذنبك.

كيف بدا المشهد هناك لتايلور؟ وتصورت نفسها بين ذراعي جيف. لا بد أن تايلور يصرف بأسنانه الآن! وسارت إلى مكتبها وهي تقول لبيكي بلهجة شاردة: «هل لك أن تأخذي لهم القهوة، رجاء؟»

Dalyia www.Rewity.com

عندما خرجت المرأة، أخذت مارشا تحدق في الأوراق التي على مكتبها، لكنها لم تكن ترى الأرقام أمامها. تباً لبينيلوب! كون جيف معروفاً بحبه البالغ لزوجته وأسرته لا يشكل أي فرق بالنسبة إلى بينيلوب فهي ستجعله يدفع آخر ما يمكنها سحبه منه بسبب بهذا المشهد.

ليفكر تايلور كما يريد! وإذا سرت إي إشاعة، فبإمكان جيف أن يخنقها في مهدها، من بينيلوب أو غير بينيلوب.

بعد خمس دقائق فقط انفتح الباب بين المكتبين. ورغم تشنج مارشا، تباطأت في رفع بصرها، حريصة على هدوء ملامحها:

- أنا بحاجة للحديث معك.

قال تايلور هذا وهو يقف بجانب مكتبها وظنت مارشا أن الدم سيتفجر من عروق بينيلوب عندما التفت إليها قائلاً: «سأوافيك بعد قليل يا بينيلوب».

- حسناً، حسناً.

سرعان ما عادت المرأة إلى طبيعتها وكانت بينيلوب ماهرة في ذلك.

جيف أيضاً كان هناك، فقال: «سنناقش بعض الأشياء بالنسبة إلى هذا العرض. هل يمكنك التصرف وحدك هنا يا مارشا؟».

كان يسأل عن أكثر من مجرد عمل المكتب وجميعهم أدركوا ذلك فأومأت مارشا وهي تقول بصوت ثابت: «طبعاً، ولكن لا تنسَ موعدك الساعة الرابعة».

- لن أنسى.

عندما خرج جيف وبينيلوب التفتت مارشا إلى بيكي التي كانت تتظاهر بالعمل بينما ترهف سمعها فضولاً: «سأتأخر هنا الليلة، يا

بيكي، هل يمكنك أن تحضري شيئاً لفترة العصر؟ لابأس بالسلطة والشطائر».

خرجت بيكي على الفور بعد أن ألقت على تايلور نظرة عدائية.

جلس تايلور على حافة المكتب وقال: «إنها لا تحبني».

ولم يكن قوله هذا ما توقعته فقالت: «ماذا؟».

- سكرتيرتك لا تحبني.

- حسناً، لا بد أن هناك امرأة أو أكثر منيعتين إزاء سحرك.

قالت هذا بمرح جعلها تشعر بالزهو، نظر إليها بثبات وهو يشير برأسه إلى المكتب الذي خلفه: «هل تحبين أن تفسري ما كان يجري هناك؟».

احترق مئة جواب على لسانها، لكنها لم تنطق بأي منها بل حدقت إليه لحظة طويلة: «أظنك تعني الذراع الودود حول الكتفين؟».

- هل كانت كذلك؟

- جيف سعيد جداً بزواجه ولديه طفلان، كما أنه رجل طيب للغاية وهو صديقي كما أنه رئيسي.

فرفع حاجبيه وقال بهدوء: «أعرف عدة رجال سعداء بزواجهم ولديهم عشيقة لطيفة سخية».

فقالت متوترة: «لاأشك لحظة واحدة في أنك خبير تماماً في مثل هذه الأمور، لكن جيف ليس كذلك».

تحرك قليلاً، فتهافتت أحاسيسها. كانت سترته مفتوحة كاشفة عن قميص أبيض وربطة عنق كحلية. وعندما نظرت إليه فتح ثلاثة أزرار في قميصه وأرخى ربطة عنقه. كانت حركة عادية تماماً لا تدعو إلى مثل ذلك التوتر الذي سرى في أعصابها.

Dalyia www.Rewity.com

ـ أخبرتني بينيلوب أنك حصلت على وظيفتك هذه بتزكية من جيف.

كان ما يزال يتحدث بلهجة عادية استعملها منذ ترك مكتب جيف، لكن مارشا كانت تعلم أنه استاذ في ضبط النفس وخبير في عدم الكشف عن مشاعره.

ـ عرفته فترة قصيرة عندما كنت أعمل في شركة أخرى قبل أن نتزوج، وعندما قدمت طلباً للعمل هنا، عرفني، وهذا كل شيء.

ـ وحرص على أن تعملي معه.

تجاهلت قصده الواضح، قائلة: «نعم، إنه يؤمن بكفاءتي».

ـ يبدو أن بينيلوب تعتقد أنه يفعل أكثر من مجرد الإيمان بكفاءتك.

ـ أحقاً؟

من مكان ما، أتتها القوة لمعالجة هذا الأمر بشكل كانت تظنه فوق قدرتها: «هذا لا يدهشني فعندما تصل أخلاق المرأة إلى مستوى متدني يصعب عليها تمييز الرجل والمرأة المحتشمين».

مال نحوها يتأملها بعينيه الثاقبتين، وسألها بلطف: «إذن، ليس هناك شيء بينك وبين جيف نورث؟».

ـ لا. لا شيء.

ـ هذا حسن.

ووقف مشبكاً ذراعيه فوق صدره.

ـ ماكنت لأحب أن أجعله يدرك خطأ تصرفاته.

حملقت فيه وهي تقول بصوت كالثلج: «ألم تجد بديلة لتانيا بعد؟».

كان صوتها ذا حدين كما كان صوته.

ـ طبعاً. وتانيا تدربها منذ ثلاثة أشهر الآن.

ـ تانيا تدربها؟

ـ ويمتهى المهارة.

وابتسم. وودت لو تضربه على رأسه بينما تابع: «ستيلا كروس في الخمسين، عادت إلى العمل بعد تمريضها زوجها الذي كان يعاني من السرطان مدة ثلاث سنوات. كان لها مركز جيد عند أحد المنافسين لي قبل أن يمرض زوجها. ولكن عندما أصبحت جاهزة للعمل مرة أخرى قالوا إنها كبيرة السن بالنسبة للعمل، وغلطتهم كانت ربحاً لي. صحيح أنها جدة لطفلين، لكنها أحد ذكاء من أي فتاة في العشرين أو الثلاثين».

قال هذا رافعاً حاجبيه. فوجدت مارشا نفسها مسرورة للغاية لأنه لن تكون هناك فتاة جميلة أخرى تقف أمامه بدلال وترتدي التنانير القصيرة.

تأملته الآن، وعيناها الخضراوان تكشفان عن أكثر مما تظن، ثم سألته بعد لحظة: «هل تصدقني بالنسبة إلى جيف؟».

ـ طبعاً.

رد بسهولة علمت منها أنه صادق. ولسبب ما أغاظها ذلك، رغم حماقة هذا الشعور، وجعلها لا تفهم نفسها أبداً. لم تكن تريده أن يغار، أم تراها تريد ذلك؟

تساءلت بصمت ثم ذعرت للجواب.

قال بهدوء: «أنا آسف جداً لخروجي بذلك الشكل هذا الصباح، فقد كنت أودّ تناول الفطور معك».

توهجت وجنتاها بالرغم عنها. حاولت أن تنسى كم كان رائعاً عند ذاك، لكن قربه منها كان صعباً.

Dalyia www.Rewity.com

- اتصلت بك بعد ذلك إلى المكتب فقيل لي إنك متوعكة. اتصلت ببيتك فقالت لي السيدة تيت كوانز إنك خرجت.

كان في لهجته تساؤل. ترددت لحظة ثم أخبرته بالحقيقة: «كنت بحاجة لرؤية شخص ما».

- شخص ما؟

كان قريباً جداً منها بحيث وجدت نفسها بحاجة إلى الابتعاد عنه كي تتمكن من أن تقول ما يجب أن يقال.

سارت إلى النافذة ثم غادت تستدير لتواجهه. وكان هو يراقبها بحزم دون أن يتحرك.

- كنت بحاجة للذهاب لرؤية الشخص الذي أخبرني عنك وعن تانيا. أردت أن أرى إن كان من الممكن أن يكونوا مخطئين.

- و؟

- لم يكونوا كذلك.

بقي جامداً تماماً: «أظنني أفضل من يمكنه الحكم في هذا الأمر».

- قالوا...

- من الذي قال؟

ووقف غاضباً قبل أن يسيطر على نفسه بجهد: «من هو بحق الله، ذلك الشخص الذي أقنعك بذلك؟ أنا زوجك ويجب أن تعني كلمتي لك أكثر من أي شخص آخر في حياتك».

- آسفة، لكنني أصدقهم.

واجهت ثورته بثبات، عالمة بأن ضعفها الآن سيكون مهلكاً: «ليس لديهم سبب للكذب».

- إذن فهم مخطئون، إذا لم يكونوا كاذبين. وعلى الجهتين هم

بحاجة إلى من يوجه لهم ضربة.

- كما كنت ستفعل مع جيف لو كانت بيننا علاقة. أنت ترهب أي شخص يقف في طريقك... إما هذا وإما تستعمل سحرك مع المناورات، لتقنعهم بالاستسلام. لكنني لن أسمح لك بفعل هذا هنا.

- سحري؟

وثار غضبه بشكل لم تره قط فيه من قبل، وسرّها أنهما هنا وليس في غرفتها: «أنت رسمت لي صورة عظيمة، يا حبيبتي».

- دوماً كنت تخبرني بأنك شققت طريقك بصعوبة.

- بصعوبة، نعم. ولكن ليس بالكذب والخداع والنفاق، لا. إذا كنت تظنينني بهذا الشكل لماذا تزوجتني منذ البداية؟

- لأنني أحببتك.

قالت هذا دون تفكير، ودون أن تدرك أنها تحت تأثير الاعتقاد بأن كل هذه الصفات فيه، بينما هي لا تعتقد ذلك... هي حقاً لا تعتقد، كما أخذت تحدث نفسها وهي ترى وجهه يتغير ليصبح رجلاً لا تعرفه.

- حسناً، الآن عرفت مكاني.

بدلاً من ثورته السابقة، أصبح صوته وعيناه ببرودة الثلج ودون تعبير: «هل هناك ما هو أسوأ من رأيك بي؟ أنا سمكة قرش، منحرف، رجل عديم الضمير في عمله وفي حياته الخاصة».

- لم أكن أعني هذا.

- بل هذا ما عنيته بالضبط. تباً لذلك! أنا أفرغت لك قلبي. أخبرتك بكل ماضي وأحلامي للمستقبل. لم أخف عنك شيئاً. ظننت أنني إذا أخبرتك بمدى حبي لك ستبدأين بتصديقي. أردتك أن تفهمي أن حبنا سيدوم إلى الأبد. أردت أن نضحك معاً ونبكي معاً، ونحزن معاً. كنت

Dalyia www.Rewity.com

جزءاً مني. كنت كل شيء في حياتي.

إنه يستعمل الأفعال الماضية. فأحست بانقباض في قلبها.

ـ لم تصدقيني يوماً.

ـ لا، لا. هذا غير صحيح.

تجاهلها وكأنها لم تقل شيئاً: «أخبرتك عن حياة أمي وأبي، وكيف حولا حياتنا جحيماً. أمي لم تحب أبي يوماً وكان هو يعلم ذلك لكنه لم يستطع أن يتقبله. أتعلمين لماذا؟ لأنه كان يحبها. لو لم يكن يحبها إلى ذلك الحد لقاومها بشكل أفضل. لكنها كانت كل ما يريده هو. هذا غريب، ألا تظنين ذلك؟».

وابتسم ابتسامة هائلة: «الولد لأبيه. لكنني لن أسير في نفس طريقه مارشا. أنا لن أقضي على نفسي لأن المرأة التي أحبها تحتقرني. أنا أستحق أفضل من ذلك».

ـ أنا لا أحتقرك.

لم تستطع أن تتكلم من الصدمة وبدا صوتها غريباً...

ـ ليس هذا ما أراه فأنت ترفضين أن تخبريني عمن ملأ رأسك بتلك التفاهات منذ البداية. ولا تمنحينني فرصة للدفاع عن نفسي... ما هو إذن إن لم يكن احتقاراً؟ لقد تزوجتك مدركاً أن ليس بإمكاني أن أمحو الأربعة وعشرين عاماً الأولى من نفسيتك، لكنني ظننت أن حبنا سيتغلب على كل الصعوبات. لكنني كنت مخطئاً.

فقالت وهي تكافح لاستعادة هدوئها: «استمع إلي. عليك أن تسمعني. أنا لا أحتقرك، ولم أحتقرك يوماً. أنا أحبك يا تايلور».

وتحول غضبه إلى عبوس عنيف: «ليس بما يكفي، ليس بما يكفي لكي تثقي بي. حتى إنه لا يكفي لكي تتصلي بذلك الرجل السويدي الذي

أعطاني سريراً في غرفته في الفندق. هل ظننت أنني اشتريته هو أيضاً؟ أرغمته وتحايلت عليه كما يبدو أنني أفعل مع كل شخص آخر؟ هل هذا هو السبب الذي منعك من رفع سماعة الهاتف للاتصال؟».

ـ أخبرتك بأنني لم أستلم رسالتك.

ـ لذا اكتفيت بما تعرفينه؟

ـ لم يكن الأمر بهذا الشكل.

لو يعرف كم عانت من الآلام! عذاب الشوق إليه الذي جعلها مستعدة لأن تزحف إليه في إحدى لياليها الباردة لكي تبحث عنه...

ـ امتلكنا الحب ثم فقدناه، وما زلت لا أدري السبب.

أجفلت بشكل ملحوظ، وفكرت في شيء تقوله يزيل تلك النظرة الجامدة العنيدة من عينيه ففشلت تماماً.

إنها لحظة الحقيقة الكاملة الآن التي تستطيع فيها أن تقول بكل صدق أنها تصدقه. بشكل ما، كان هناك خطأ. فقد صدقت سوزان شخصاً ما كان لها أن تصدقه، أو ربما تانيا كانت كاذبة. أو ربما شخص آخر بعيد عن الأسرة قام بدور في كل هذا. على كل حال، هو لم يخنها، ولكن هذا لم يبهجها، فهو لن يعود إليها أبداً.

ـ ذهبت إليك هذا الصباح لأنني أحبك... جسماً وروحاً وعقلاً. أحب كل إنش فيك، السيء والرديء، الضعيف والقوي. إنني مستعد للموت من أجلك. ألا تعرفين هذا؟

فقالت بلهفة لم تحاول إخفاءها: «أنا... أنا أصدقك الآن. أصدقك يا تايلور».

ـ لا، فلتكن الحقيقة بيننا على الأقل. أنت اقتنعت بأنني خنتك مع تانيا، وبأشياء أخرى أيضاً، وفي الفترة الأخيرة، المفروض أنني خنتك

Dalyia www.Rewity.com

مع بينيلوب، أليس هذا صحيحاً؟ متى وجدت وقتاً لخيانتك مع كل تلك النساء، عندما كنا معاً على كل حال؟ ألم تسالي نفسك هذا السؤال؟ أنت تعرفين كيف كان الأمر بيننا. لم نكن نستطيع أن نترك بعضنا البعض، فكيف أذهب مع أي امرأة أخرى؟

- أعرف، أعرف.

خطوات بيكي المقتربة من المكتب أنبأت بقدومها فوقف تايلور وقال بصوت عميق فاتر: «الوداع يا مارشا».

ماذا يمكنها أن تقول لتقنعه بالبقاء؟ ماذا تفعل؟ ما الذي عليهما أن يفعلاه لحل هذه المشكلة؟ لم تستطع أن تفكر بشكل مترابط أو تقول شيئاً. أخذت تحدق إليه وهو يفتح الباب في الوقت الذي عادت فيه بيكي فمر بجانبها خارجاً دون نظرة إلى الوراء.

دخلت بيكي وأغلقت الباب خلفها ثم وضعت ما أحضرته من طعام على مكتب مارشا، لكنها لم تقل شيئاً قبل أن تمدّ ذراعيها وتحتضن مارشا: «ستكونين على ما يرام. ستتغلبين على هذا».

فقالت مارشا دون أن تجد رغبة في البكاء، لأن الصدمة والألم كانا أعمق من أن تحصل على هذه الراحة: «لقد ارتكبت غلطة حياتي يا بيكي».

بشكل ما، كانت سوزان مخطئة.

- هل أخبرته بأنها هي التي أخبرتك؟

نظرت مارشا بجمود إلى الوجه القلق أمامها: «لا أظن أن ذلك سيحدث أي فرق. إنه يكرهني الآن يا بيكي. أرى ذلك في عينيه».

- آه، يا مارشا.

تبادلتا النظرات ولأول مرة لم تعرف بيكي ما تقول. ونظرت مارشا

إلى يديها ورأت ارتجافها:

- على أن أنجز بعض العمل.

فشتمت بيكي برقة: «دعي كل ذلك. هنا أشياء أهم من برامج التلفزيون القديمة».

فابتسمت مارشا مرغمة ابتسامة مرتجفة: «أنت لا تفهمين، وكيف بإمكانك ذلك بينما أنا لا أفهم نفسي؟ لقد سار الأمر من سيء إلى أسوأ. كل ما أعرفه أن الأوان فات يا بيكي. وهكذا يمكنني على الأقل، أن أقوم بهذا العمل».

وأشارت إلى أوراقها على المكتب: «حتى ولو أفسدت كل شيء آخر».

- ربما سيعود.

دوماً كانت بيكي متفائلة، وهذا أحد الأشياء التي تحبها مارشا فيها. لكنها اليوم تعرف أن سكرتيرتها مخطئة. وتابعت بيكي قائلة: «الرجال يفعلون هذا أحياناً عندما يفكرون في الأمر. زوجي يحضر إلي أزهاراً كلما تشاجرنا وكان هو عنيداً».

- لكن تايلور لم يكن عنيداً بل أنا.

- حسناً، امنحيه إذن باقة أزهار. تنازلي قليلاً. ربما لن يعجبك ذلك حينذاك لكنه مفيد جداً فيما بعد.

- إذا كان ذلك بهذه السهولة، سأسرع إليه. لكن الأمر ليس كذلك. لقد منحني كثيراً من الفرص للمصالحة فنسفتها جميعاً.

- ولكن إذا كان يحبك، حاولي مرة أخرى.

فهزت مارشا رأسها: «أنت لا تعرفينه، عندما يقرر شيئاً لا يتزحزح عنه».

Dalyia www.Rewity.com

تنهدت بيكي وهي تتهاوى على مكتبها، ونظرت مارشا إلى وجه سكرتيرتها الحزين. مسكينة بيكي! إنها متلهفة إلى أن تكون هذه النهاية كنهاية بعض القصص التي تقرأها... لكن هذه ليست قصة خيالية.

٩ ـ حطام امرأة

لم تترك مارشا المكتب إلا بعد أن ساد الظلام تقريباً. وكان الجو دافئاً رطباً، وزحمة السير قد خفت منذ وقت طويل. كانت مستنزفة القوى، وكان عليها أن تعود إلى مكتبها باكراً غداً ويوم الأحد. لكن لم يكن لديها مانع فهي تفضل أن تفعل شيئاً يمنعها من التفكير بتايلور.

قررت، رغم تعبها، أن تعود إلى البيت سيراً. وعندما وصلت إلى غرفتها كان الظلام سائداً فأشعلت النور قرب السرير عازمة على الاستحمام وتناول فنجان شاي قبل الخلود إلى النوم.

شعورها بالغثيان منذ مواجهتها تايلور منعها من أكل السلطة والشطائر التي أحضرتها بيكي بعد الظهر. وعندما خرجت من الحمام وارتدت قميص نومها شعرت بالدوار، فأدركت أن عليها أن تأكل شيئاً وهكذا أرغمت نفسها على أكل شريحتين من الخبز مع الشاي وعند آخر لقمة رنّ جرس الهاتف الداخلي من عند الباب الخارجي.

قفز قلبها فأسرعت كالمجنونة. تايلور وحده يأتي في هذا الوقت وقالت بصوت هادىء:

ـ من هناك؟

ـ أنا تايلور. اسمعي يا مارشا... سوزان في المستشفى... لقد حاولت...

وسادت فترة صمت قال بعدها: «حاولت أن تنتحر الليلة».

Dalyia www.Rewity.com

- ماذا؟

- عثر عليها ديل. إنه معها الآن... لكنها حزينة وتطلب أن تراك... هل يمكنك...؟

- سأنزل في الحال.

غيرت ملابسها بسرعة ثم تناولت حقيبتها ونزلت إلى الطابق الأسفل حتى دون أن تسرح شعرها. عندما فتحت باب المبنى كان تايلور واقفاً ينتظرها بوجه شاحب متجهم. أرادت أن تحيطه بذراعيها، ولكن كل شيء في مظهره حذرها من أن تفعل ذلك. وأدركت أنه مهما حدث لسوزان، فلم يتغير شيئاً بالنسبة إليهما.

عندما سارا نحو سيارته، قال: «أنا آسف. هل أيقظتك من النوم؟».

كان صوته رسمياً بشكل فظيع فأجابت: «لا. وصلت لتوي من العمل».

أومأ وتقدم يفتح لها باب السيارة، فصعدت. أغلق الباب خلفها ثم دار حول السيارة ليصعد إلى مكانه، وكانت تنظر إليه وقلبها يخفق. كان يبدو مريضاً شاحباً.

عندما جلس تايلور بجانبها قالت: «لا بد أن هناك خطأ ما. سوزان لا يمكن أن تحاول الانتحار».

تابع السير وعندما وصلا إلى الشارع العام قال بفتور:

- كان ديل سيذهب إلى المانيا لكنه في المطار أدرك أنه نسي ملفاً هاماً في البيت. حاول أن يتصل بسوزان، ولكن بعد فترة أدرك أنها إما تتحدث على الهاتف فترة طويلة وإما أن السماعة في غير مكانها. لكنه لا يستطيع أن يسافر دون الملف، فتدبر أمر السفر فجر الغد ثم تناول وجبة

طعام وكوب قهوة قبل أن يذهب إلى بيته. حيث وجدها ممددة على السرير وبجانبها علبة حبوب فارغة.

- ولكن لماذا؟ هل يعلم زوجها لماذا؟

- يبدو أن الأمور لم تكن جيدة بينهما منذ سنتين. كانا يحاولان إنجاب الأطفال منذ زواجهما دون فائدة. قال ديل إن هوس إنجاب طفل تملك سوزان، وهذا كان كل ما يهمها، فأنشأ علاقة غرامية مع سكرتيرته. عرفت سوزان ذلك بشكل ما. كنت سأقتله يا مارشا. أقسم أنني كنت سأشنقه بجانب سريرها لو أنه لم يبدُ لي كميت عاد إلى الحياة.

- آه، يا تايلور!

لم تعرف ما تقول، لماذا لم تخبرها سوزان؟ ولكن لماذا عليها أن تفعل ذلك؟ كما أجابت نفسها. ليس من شأنها ما يجري بين سوزان وديل.

- قال إنه كان يحاول أن يتصالح معها منذ ذلك الحين، لكن الأمور كانت سيئة. أظن بيتها الجديد وإسرافها وبقية الأمور كانت كلها تعزية لها عن عدم الإنجاب. وكانت على وشك أن تتقبل الأمر، ولكن عندما أقام تلك العلاقة أدركت أنها لم تعد تملك شيئاً.

كان يقبض على عجلة القيادة بقوة بالغة وقد اسودّ وجهه من الغضب الذي كان يحاول السيطرة عليه.

سألته بفتور: «ولكن هل ستكون على ما يرام؟».

فأومأ: «لقد أجري لها غسيل معدة، وكانت غائبة عن الوعي معظم الوقت. ولكن ما إن استيقظت وأدركت أنها لم تنجح في ما حاولت عمله، أخذت تسأل عنك. لم تشأ أن تتحدث إليّ أو إلى ديل، وتملكتها نوبة عصبية فقلت لها إنني سأحضرك إليها».

Dalyia www.Rewity.com

- هل تركت رسالة أو ما شابه؟

- لا أظن ديل لاحظ شيئاً لأنه ما إن رآها حتى ذُعر وسارع إلى الاتصال بالإسعاف ثم بي. كنت في حفلة عشاء في «سيفينول»، فذهبت على الفور إلى المستشفى. أظن ديل سيعلم من سوزان إذا تركت رسالة في مكان ما.

«سيفينول»! لدى بينيلوب بيت في «سيفينول». لم تشأ مارشا أن تطيل التفكير في الأمر. لديها أشياء أهم الآن.

- أتعرف لماذا تريد سوزان أن تتحدث معي؟

سألته بحذر فهي لم تر سوزان إلا هذا الصباح، لكنها لا تستطيع أن تكشف ذلك لتايلور.

- بالكاد هي صاحية... يا للطفلة المسكينة!

تابعا الرحلة بصمت. ولم تشعر مارشا قط من قبل بمثل هذه المرارة التي شعرت بها الآن لأنها لم تعد تعيش مع تايلور. تلهفت إلى التخفيف عنه، لكنها خسرت الحق في ذلك إلى الأبد.

كان على حق في كل ما قاله بعد أن وجدها مرة أخرى. كان عليها أن تبقى في البيت مدة كافية... بعد أن عاد من المانيا بعد تلك العطلة الاسبوعية التعيسة. وكان عليها ألا تعد سوزان بأن لا تكشف أمر من أخبرها عن تانيا. لقد اتهمت تايلور بالخيانة ثم رفضت أن تصغي إلى أي توضيح منه لأنها صدّقت على الفور أنه مذنب.

وتكوّن الندم غصة في حلقها.

عندما وصلا إلى باحة المستشفى كانت التعاسة تتملكها. وعندما ساعدها على النزول من السيارة كانت تصرفاته جافة.

أرادت أن تصرخ وتنوح وتكشف عن حزنها لكن هذا ليس وقته

الآن. فلجأت إلى الصبر الذي كان ملاذها خلال طفولتها الصعبة وسنوات مراهقتها وما بعدها.

عندما دخلا إلى المستشفى سارت بجانب تايلور رافعة الرأس محطمة القلب. يمكنها أن تبكي لأجل ما كان يمكن أن يكون حين تصبح وحدها، أما الآن فعليها أن تتصرف بكرامة، على الأقل.

عندما وصلا إلى غرفة سوزان، طرق تايلور الباب مرة ثم فتح الباب لتدخل مارشا. وكان ديل جالساً بجانب السرير فرأت على الفور أن تايلور لم يبالغ في وصف مظهره. لكن كل عطفها كان موجهاً إلى ذلك القوام النحيل الممدد على سرير المستشفى، والذي لا يكاد يبدو تحت الأغطية. وكانت عيناها مغمضتين، ولكن عندما تكلم تايلور قائلاً: «هل قالت شيئاً؟» فتحت عينيها.

عندما هز ديل رأسه، قالت سوزان بضعف: «مارشا! آه، مارشا!».

وأخذت دموعها تتدفق على خديها الشاحبين.

رأت مارشا ديل ينهض ويخرج من الغرفة، والباب يغلق خلف الرجلين برفق. ولكن عندما أخذت الجسد البالغ النحول بين ذراعيها هزتها شهقات سوزان، فجلست على حافة الفراش برفق وهي تطمئن سوزان بحنان وتؤاسيها.

مضى وقت طويل قبل أن تهدأ عاصفة البكاء وأخذت مارشا تمسح وجه سوزان وهي تقول: «هذا أحسن الآن».

عندما ابتسمت للوجه المأساوي أدهشتها سوزان بالقبض على يدها وهي تقول بصوت قانط منخفض: «مارشا... أنا قمت بعمل لا يغتفر، تركت بعض الرسائل قبل أن... ديل لم يرها، لكنه سيراها عندما يعود

Dalyia www.Rewity.com

إلى البيت».

- مهما كان الأمر يا سوزان، ما كان ذلك سيئاً إلى حد تفعلين معه هذا بنفسك.

- بل هو كذلك.

وحدقت إليها سوزان بعينين متنفختين: «كم أشعر بالخجل من نفسي! يا ليتهم تركوني أموت!».

وتدفقت من عينيها دموع جديدة. ومن مكان ما، ومض في ذهن مارشا نور الإدراك فبللت شفتيها اللتين جفتا فجأة وقالت: «أنت لفقت الحكاية عن تانيا».

اهتز جسم سوزان، وهمست: «هل عرفت ذلك؟».

- هذه اللحظة فقط.

- إنه... إنه لم يفعل شيئاً قط، لا مع تانيا ولامع غيرها.

كانت سوزان تمسكها بعنف. شعرت لحظة وكأنها ستختنق، وبذلت جهداً هائلاً لتقول: «لماذا فعلت ذلك؟».

- لا أدري في الحقيقة. أظنني كنت حينذاك مجنونة نوعاً ما، لكن ذلك ليس عذراً. أعرف هذا. ديل... كان على علاقة مع سكرتيرته...

- أعرف هذا، فقد أخبرني تايلور هذا المساء.

- أحقاً؟ هذا جعلني أشعر... بأنني لا شيء... بل أقل من لا شيء. لم أستطع أن أنجب طفلاً وزوجي يحب امرأة أخرى... لم يبق سوى تايلور في حياتي يحبني. هذا ما شعرت به، ولكن بعد أن أصبحت أنت حبيبته لم أعد في حياته ذات أهمية كما اعتدت. كل شيء تغير.

- سوزان. دوماً كان تايلور يحبك فأنت أخته... لحمه ودمه.

- لكنك ستنجبين له أطفالاً... أولاداً وأحفاداً. وهذا يجعلني وحيدة منبوذة.

- ما كان هذا سيحدث أبداً.

وحدقت مارشا في عينيها المليئتين بالتعاسة اللتين بدتا كبيرتين للغاية في وجهها الفاتن الصغير.

- عرفت ذلك فيما بعد. عرفته حالما هجرت أنت تايلور، لكن الأوان كان فات حينذاك. لم أستطع أن أعترف بما فعلته. كان يأتي إليّ ليراني ويثور على ذلك الذي أخبرك بتلك الأكاذيب، ويتوعده بأفظع الأمور حين يعرفه. لن يسامحني أبداً يا مارشا. سيكرهني الآن.

نظرت إليها مارشا ممزقة بين الشفقة والغضب والألم والندم ومئات من المشاعر الأخرى. وقالت: «لا يمكن أن يكرهك تايلور أبداً يا سوزان».

- بلى! منذ اللحظة التي عرفك فيها، عشق الأرض التي تسيرين عليها، وحتى قبل أن أعرفك شعرت بغيرة بالغة منك، ولكن... حسناً، كنت أنت رقيقة بالغة اللطف وانسجمنا جيداً معاً... ثم، عرفت بأمر ديل... و... وشعرت أن ذلك لا بد ذنبي لأنه رغب في امرأة أخرى، وأنني لست جميلة أو جيدة بما يكفي. أخذت علاجاً من الطبيب فلم ينفع. لم أستطع أن أنام أو آكل. أخذت أستيقظ في منتصف الليل وديل نائم، فأسير في الأنحاء بين بيوت الجيران وأنا أتساءل كيف تستطيع كل النساء أن يحتفظن بأزواجهن بخلافي أنا.

مدت مارشا يدها تزيح خصلة شعر عن جبين سوزان وهي تقول برقة: «لماذا لم تخبري أحداً؟ إن لم يكن أنا، تايلور؟».

- كان تايلور سيميته ضرباً ثم هناك عمله. سيصبح من الصعب على

Dalyia www.Rewity.com

ديل أن يواصل عمله مع تايلور فأين سنصبح حينذاك؟ لكن السبب الرئيسي هو...

وخفضت سوزان بصرها وهي تهمس: «شعرت بذلٍ بالغ وبالعار، لرغبة ديل في امرأة أخرى، وأنني لم أستطع أن أنجب طفلاً... لم... لم أشعر بأنني امرأة يا مارشا... فأنا مجرد شيء، شيء بشع بدين ممل».

فكرت مارشا بأن هذا ما جعل سوزان تتحمس لممارسة الرياضة واتباع حمية للنحافة، بغد زواجهما، هي وتايلور، بوقت قصير. فقالت لها بلطف: «كان عليك أن تخبريني».

ـ ما كنت ماهرة قط في الإفضاء للغير بمشاعري في حينها. لم تكن حالة أمي حينذاك تسمح بوقت لشيء مثل تبادل الحديث أو مناقشة أي مشكلة. لا أتذكر أنها احتضنتني و قبلتني طوال حياتها. وطبعاً لم يكن أبي معنا إلا نادراً.

ـ آه، يا سوزان.

كانت عينا مارشا جافتين لكنها تبكي في داخلها، تبكي للطفلة الصغيرة المرتبكة الخائفة المتألمة المحبوسة في جسم سوزان. وللديل الذي تزوجته، ولتايلور، ولنفسها. لقد قادت الغيرة سوزان في طريق موحش ملتوٍ دمرهم جميعاً.

تمسكت بها سوزان مرة أخرى، وكيانها كله يتسوّل منها الغفران: «لقد أخبرت تايلور كل شيء في الرسالة التي تركتها له. وهناك واحدة لك وأخرى لديل أيضاً. وقد أوضحت أمر الرسالة التي كان تايلور قد أرسلها إليك بعد رحيلك عن بيته».

ـ هل أخذتها أنت؟

ـ أخبرني عما سيفعل، وهكذا في الصباح التالي لإرساله الرسالة، أخبرت ديل بأنني سأخرج لممارسة الرياضة باكراً، ثم بقيت أهرول حول النزل الذي تقيمين فيه وعندما رأيت ساعي البريد هرولت نحوه وتظاهرت بأنني أسكن هناك. وسألته أن كان هناك شيء باسم السيدة كين فناولني الرسالة. كان الأمر بسيطاً تماماً. غريب كم يسهل خداع الناس الطيبين!

ـ وأنت أجريت الحجز في المانيا طبعاً.

ـ كنت أعرف الفندق لأن تايلور اعتاد النزول فيه كل عام حين يذهب لحضور المؤتمر، فكان الأمر لا يعدو اتصالاً هاتفياً لتغيير الغرفتين المنفصلتين اللتين كانت تانيا قد حجزتهما، إلى غرفة مزدوجة.

ـ انتظرت سفرهما لتأتي إليّ وتخبريني.

ـ لا يمكنني أن أصدق الآن كل ما فعلته. حقاً لا أستطيع. كنت وكأنني أحاول أن أثبت لنفسي أنني لست غبية تافهة بأي شكل. عندما حصلت على الرسالة ذلك اليوم، ذهبت إلى النادي الرياضي بعد الظهر وتمرنت ساعات من فيض الإثارة.

ـ هل ما زالت الرسالة لديك؟

فهزت سوزان رأسها: «خفت أن يعثر عليها ديل. إنه يظن أن علاقته مع سكرتيرته هي التي باعدت بيننا طوال السنتين الماضيتين لكن الأمر لم يكن كذلك، وكيف كنت سأخبره بما فعلته نحوك ونحو تايلور؟ كان حتماً سيحتقرني».

ـ أما زلت تحبينه؟

سألتها بهدوء. لم تستطع أن تصنف مشاعرها فقد كانت مضطربة مشتتة، لكن محاولة سوزان للانتحار كانت في المقدمة من الأهمية.

Dalyia www.Rewity.com

ماقامت به سوزان مرة، يمكنها أن تقوم به مرة أخرى. ومع أن الطبيب يمكنه أن يساعدها على المدى الطويل، إلا أنها بحاجة إلى العطف والحنان، والمسامحة الآن قبل كل شيء، ولا ينفع أحداً إظهار العنف والغضب.

وأجابت سوزان وشفتيها ترتجفان: «نعم، أحبه، وأنا متفهمة سبب خيانته. لقد أبعدته عني بعد يأسي من الإنجاب، ناسية أن للرجل حاجاته ورغباته. بعد أن فصلتك عن زوجك كنت أتوقع أن يهجرني ديل في أي وقت. وحتماً لديه سبب وجيه لهذا، لكنه لم يفعل فقد كان يلوم نفسه لعلاقته تلك، وكنت أنا ألوم نفسي لما فعلته بك وبتايلور...».

تلاشى صوتها وهزت رأسها: «أتظنين أن بإمكانك أن تصفحي عني يوماً ما؟ أنا أعرف أنه لا يمكنك ذلك حالياً. ولكن أتظنين أن هذا سيحدث فيما بعد؟».

ـ أنا أسامحك الآن.

وكيف يمكنها أن تفعل شيئاً آخر بالنسبة إلى ذلك الجسد الذي يشبه هيكلاً عظيماً وهاتين العينين المعذبتين أمامها؟ مهما كان ما عملته سوزان، فقد تقدمت إليها مارشا تحتضنها مرة أخرى: «أنا أعني ذلك يا (سو). أنا أسامحك، ولكن عليك أن تعديني بأن تعالجي نفسك».

تصلب الجسد النحيل لحظة، ثم استرخت سوزان وهمست: «أتعنين علاجاً نفسياً أو ما شابه؟».

ـ إذا تحدثت إلى الأطباء هنا، سيتمكنون من إرشادك إلى الشخص المناسب. أنا واثقة. هل تعديني بأن تفعلي ذلك؟

ـ أعدك. وكل شيء سيكون على ما يرام بينكما أنت وتايلور الآن، أليس كذلك؟ بعد أن عرفتما الحقيقة، هل ستعودان كما كنتما من قبل؟

قالت سوزان هذا متوسلة بصوت مختنق.

كانت سوزان لا تزال طفلة في داخلها. ظنت أن كل ما عليها فعله لإصلاح الأمر بينهما هو أن تعترف، وبذلك تمحو العام والنصف الماضيين. لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة. فقد حدث بينهما دمار من المتعذر إصلاحه، كما أوضح تايلور هذا النهار. وفي الواقع، لم يعد يهم الآن من هو الذي نطق بتلك الأكاذيب عن تانيا. فما يهم هو أنها لم تمنح تايلور ثقتها وهو أدرك ذلك، فإذا كان مع بينيلوب الليلة، من سيلومه؟

كانت سوزان ما تزال تحدق فيها، فقالت بابتسامة مرغمة: «ستسير الأمور على ما يرام، يا سوزان، أما بالنسبة إلى الآن، فعليك أن تركزي على شفائك. اسمعي، أنا سأذهب الآن، لكنني أظن أن عليك أن تخبري ديل وتايلور بالأمر بنفسك».

تشبثت بها سوزان بقوة مدهشة: «ليس لتايلور. يمكنني أن أخبر ديل، لكنني لا أستطيع أن أنظر إلى وجه تايلور. لا أستطيع».

ـ أظنك مدينة له بهذا.

ـ سأخبر ديل أولاً وربما بعد ذلك يبقى معي ونخبر تايلور معاً.

قالت هذا بعد تفكير قصير.

أومأت مارشا وهي تقف: «سأرسل إليك ديل إذن».

ـ نعم رجاء.

كان تايلور وديل جالسين في غرفة الجلوس الصغيرة على بعد عدة أمتار، وعندما دخلت مارشا أحست أن الجو بينهما مشحون للغاية. كان واضحاً أن تايلور أفضى له بعده أمور في ذهنه، وعندما أخبرت ديل بأن سوزان تريد أن تراه، لم يستطع أن ينهض عن كرسيه بالسرعة

Dalyia www.Rewity.com

الكافية. وقالت مارشا لتايلور بهدوء: «هل تمانع إذا أنا جلست لحظة؟».

كان في عيني تايلور لمعان بارد وهو ينظر إليها ويشير بيده أن تجلس على الكرسي الذي كان قد أخلاه صهره تلك اللحظة. وشعرت هي بأنها إذا لم تجلس ستسقط على الأرض. كانت تعلم أنها لم تستوعب بعد... أن سوزان كانت ستنهي حياتها بجانب اعترافها المحّير... لكن الهدوء الغريب وتمالك النفس اللذين بديا منها عندما تكلمت مع سوزان كانا يفارقانها الآن. وربما كان هذا من تأثير الصدمة، لكنه على الأقل ساعدها في عدم قول شيء تندم عليه فيما بعد.

ـ كيف حالها؟

لم يكن صوت تايلور أكثر دفئاً من عينيه.

ـ أفضل حالاً.

ـ أتريدين كوب قهوة؟

كانا يتكلمان وكأنهما غريبان. وآلمها هذا: «لا، شكراً، عليّ أن أعود إلى البيت».

ـ أنا سآخذك.

وعندما أراد أن ينهض، قالت له بسرعة: «لا، لا حاجة لذلك حقاً. قالت سوزان بأنها ستتحدث إليك بعد قليل وعليك أن تكون هنا. يمكنني أن أستقل سيارة أجرة».

ـ كما تشائين.

لاحظت أنه لم يعد يهتم بها حقاً، والألم الذي تملكها محا ما تبقى لها من هدوء. لقد بدأ بداية جديدة أقل خسارة، وانتقل ذهنياً إلى امرأة أخرى. بماذا سيشعر عندما تعترف له سوزان بأنها هي سبب تعقد

حياتهما الهائل؟

سيصفح عن أخته. لا يمكن له أن يعاقب ذلك المخلوق المثير للشفقة! ولكن هل سيعجبه ولاؤها هي لأخته؟ أم بالعكس؟ إنها حقاً لا تدري.

ـ تايلور، هناك في المكتب لم أكن أعني أبداً أنك تغش أو تخدع أحداً. لم أظن ذلك مطلقاً.

كان عليها أن تستغل آخر فرصة لها معه لكي تجعله يدرك مبلغ أسفها: «كنت مضطربة مشوشة ومخطئة في كل شيء بشكل هائل... أعلم هذا ولكن...».

فقاطعها بهدوء عابس: «عفواً إذا كنت مخطئاً ولكن ما هي الخيانة الزوجية إن لم تكن خداعاً كاملاً؟».

حدقت إليه متلهفة إلى كلمات تشرح شعورها حينذاك.

لقد اتهمها بأن حبها له غير كافٍ لكن حقيقة الأمر هي أنها أحبته أكثر مما ينبغي.

ـ لقد عنيت ما قلته عصر هذا اليوم عن أنني صدقتك.

قالت هذا أخيراً، راجية أن يتذكر أنها صدقته قبل أن تعترف لها سوزان بما فعلت.

فقال متوتراً: «مارشا، كفى، رجاء».

ـ ولكن عليك أن تصغي إليّ.

ـ لماذا؟ لماذا عليّ أن أصغي إليك؟

وخبط بقبضته على الطاولة أمامه ما جعلها تقفز ثم سأل وعيناه تتألقان: «أنت لم تصغي إليّ قط. كيف تظنينني آتي إليك إذا كنت ألمس امرأة أخرى؟ فضلت أن تصدقي كلام شخص آخر ثم رفضت حتى أن

Dalyia www.Rewity.com

تخبريني باسمه».

ـ هناك سبب وجيه لهذا.

تابع كلامه وكأنها لم تتكلم: «أنا لا أصدق أنك لم تتلقي رسالتي يا مارشا، ولا أدري إن كنت مزقتها دون أن تقرأيها. وهذا أكثر من محتمل بالنسبة إلى حالتك حينذاك كما أظن، وهذا يفسر لماذا لم تتصلي بي. على كل حال، أصبح ذلك الآن من الماضي، وقد سئمت من كل هذا».

ومنها هي! السأم منها... يتملكه، هذا ما يعنيه. فوقفت شاحبة الوجه: «الأفضل أن أذهب».

ومن خلال أسنانه المطبقة قال: «نعم، الأفضل أن تذهبي».

لا تدعني يا الله أسقط! علي الخروج من هنا ومن حياته بشيء من الكرامة.

وصلت إلى الباب وابتدأت تفتحه حين قال: «مارشا».

ـ نعم؟

والتفتت إليه ويدها على الباب.

ـ شكراً لقدومك لرؤية سوزان الليلة.

أومأت برأسها قبل أن تخرج وتغلق الباب خلفها بعناية. كان صوته فاتراً، قد تلاشى منه كل غضبه الملتهب. ولأمر ما أقنعها ذلك أكثر من كل شيء آخر بأنه حقاً غسل يديه منها.

عندما صعدت إلى التاكسي وقال صوت مرح: «مرحباً بك، ها أنت مرة أخرى، هل تذكرتني يا عزيزتي؟».

كادت تتأوه بصوت مرتفع. لكنها، بدلاً من ذلك، حاولت أن تبدو مسرورة: «نعم، أتذكرك».

ـ لقد أوصلتك هذا الصباح.

ـ نعم، أتذكر هذا.

ـ لا تبدين أقل ضعفاً وشحوباً منك عند الصباح إذا لم يكن لديك مانع في قولي هذا.

بل لديها مانع، ومانع كبير! ولكن ليس ذنب هذا الرجل المسكين أن عالمها تناثر حولها حطاماً: «لدي صداع».

ـ آه، نعم؟ زوجتي لديها صداع دوماً.

ـ أحقاً؟

يا ليته يخرس! يا ليته... يا ليته يخرس!

ـ لكنها زوجة جيدة وأنا لن أغيرها. لدينا ستة أولاد. هل لديك أطفال؟

ـ لا.

ـ متزوجة؟

ـ تقريباً... سأحصل على الطلاق قريباً، في الواقع.

ولم تعرف لماذا قالت له ذلك. وهز رأسه: «آه، نعم؟ أنت أصغر من أن تتحملي هذه المعاناة. ولا بد أنه أحمق ليدع فتاة لطيفة مثلك تفلت منه».

ـ الطلاق هو ذنبي أنا في الواقع.

ـ أهكذا؟ لكنك لا تريدين الطلاق؟

أجفلت ورأت عينيه في المرآة: «من قال هذا؟».

فقال ضاحكاً: «أنا. إننا نتعلم كثيراً عن الطبيعة البشرية في قيادتنا سيارات الأجرة».

لم تقل شيئاً، راجية أن يفهم بالإشارة.

وفهم، إلى أن خرجت وتقدمت إليه لتدفع الأجرة.

Dalyia www.Rewity.com

- شكراً يا عزيزتي.

لم تعطه أجراً سخياً هذه المرة، لكنه لم يهتم: «واسمعي، إذا كنت لا تريدين ذلك الطلاق، أخبريه بذلك. سيري إليه وأخبريه مباشرة. لن تصبح الأمور أسوأ مما هي الآن، أليس كذلك؟ فماذا تخسرين عدا شيء من الكبرياء؟».

ابتسمت بحرارة صادقة: «شكراً».

- هل ستتبعين نصيحتي؟

- ربما.

- في المرة القادمة عندما تركبين معي سأسألك.

١٠ ـــ أمل... وألم!

عندما دخلت مارشا إلى غرفتها، سارت إلى الأريكة وجلست عليها ثم بقيت دقائق طويلة في حالة ذهول. وأخيراً نظرت إلى ساعتها فكانت الواحدة صباحاً. عليها أن تخلد إلى النوم، لكنها ما زالت عاجزة عن الحراك.

عندما رن الهاتف بعد ذلك بخمس دقائق، لم يخطر في ذهنها سوى اسم واحد... تايلور. لذا تملكتها خيبة الأمل حين سمعت صوت جيف يقول: «مارشا. أهذا أنت؟».

- ومن غيري سيكون هنا الساعة الواحدة صباحاً؟ ما الذي جعلك تتصل في هذا الوقت؟

- آسف لأنني أيقظتك... لدينا أمر باهر بالنسبة إلى قصة باكستر. ثمة رجل اعتاد أن يعمل لدى مانن ديل رئيساً للمحاسبين، وهو مستعد لتزويدنا ببعض المعلومات. ويبدو أن باكستر كان صديقه ذات يوم وقد عرف لتوه بموته. أحد مخبرينا اتصل به ويبدو أن هذا سيعود علينا بفوائد. والمشكلة هي أن إمكانية استغلال هذه الفرصة السانحة تبدو ضئيلة للغاية. هذا الرجل، أوزوالد ويلمور، سيذهب إلى استراليا ليرى ابنه وسيبقى معه ستة أشهر لذا إذا لم نحصل على عدة وقائع الآن، علينا أن ننسى الأمر.

- متى سيرحل؟

Dalyia www.Rewity.com

- ستنطلق الرحلة من مطار هيثرو بعد اثنتي عشرة ساعة من الآن. وبما أن هذه قصتك منذ البداية، لا أدري إن كنت تحبين أن تذهبي لرؤيته، وإلا سأغادر في العشر دقائق التالية. المخبرون الذين يحققون معه بجانبه الآن.

- أين يسكن هذا الرجل أوزوالد؟

سألته بضعف، يا لها من ليلة! وكانت ظنت في بداية هذه الليلة أن أقصى عمل ستقوم به هو شرب فنجان قهوة!

- بجانب «واتفورد». هل تريدين أن تقومي بذلك؟

بدا أمامها وجه بينيلوب الجميل الماكر فردّت بحماسة لم تكن تظن أنها ستشعر بها بعد الساعة الحارقة التي أمضتها مع تايلور: «نعم».

أمضى جيف الدقائق الخمس التالية يلقنها ما يجب عليها أن تعمله وما لا ينبغي، ثم أخذت تدور في أنحاء غرفتها تجمع كل ما ستحتاجه. وبعد ذلك بربع ساعة كانت في التاكسي متوجهة إلى «واتفورد» وكل الإرهاق الذي كانت تشعر به تلاشى في حمى حماستها. يبدو أن أوزوالد وافق على أن يقول ما عليه قوله أمام الكاميرا، وهذا سيكون سبقاً صحافياً ضخماً.. وفكرت مارشا لحظة في أرملة باكستر «المرأة الرقيقة ذات العينين الحزينتين»، راجية ألا يتراجع أوزوالد في اللحظة الأخيرة.

لكن هذا لم يحدث ويبدو أنه كان مع مانن ديل منذ البداية. وكان المؤسس صديقاً شخصياً له، قبل أن يتقاعد صديقه هذا بعدة سنوات. وبعد موته، استلم أبناؤه وأخذوا يسيرون بالعمل بشكل مستقيم. وكان مانن ديل حينذاك أصبح رئيس اتحاد عدة شركات ما جعله، حسب قول أوزوالد، غولاً لا يهمه سوى إرضاء شهوته إلى مزيد من القوة والنفوذ.

أما الأخلاق وآداب المهنة، وحسن التدريب، والمبادىء والضمير الشخصي، فكلها أصبحت كلمات قذرة بالنسبة إليه.

وقال أوزوالد لمارشا على حدة: «أنت ستذكرين المزايا الحسنة، أليس كذلك يا عزيزتي؟ ولا تنسي، إذا أردتني أن أعود وأقول أي شيء آخر فأنا مستعد. ما اسمك الثاني بالمناسبة؟ في حال احتجت إلى التكلم معك قبل سفري».

- مارشا كين.

نطقت بالاسم قبل أن تنتبه، ربما لأن تايلور كان في ذهنها طوال الوقت، وأضافت بسرعة: «لكن اسمي في العمل هو غوسلينغ. مارشا غوسلينغ».

فقال الرجل مقطباً جبينه: «كين؟ إنه اسم غير عادي. لا أظن لك قرابة بتايلور كين صاحب «شركة كين الدولية»؟».

حدقت إليه وقالت بضعف: «إنه زوجي».

- حقاً؟ حسناً، عرفت زوجك وهو ينشىء عمله منذ كان صغيراً. قصص نجاح كهذه يتحدثون عنها في عالم الأعمال كما تعلمين. لو كان أبناء صديقي مثل كين، لما كنا هنا نتبادل الحديث الآن. إنه رجل صلب لكنه عادل، لا يرتكب ما يستدعي الخجل. لكنك طبعاً تعرفين ذلك أكثر من معظم الناس.

وابتسم لها دون أن يعلم أنه يزيد من شعورها بالذنب المحرق.

- شكراً، يا سيد ويلمور، ولكن عليك أن تذهب الآن.

وهربت منه وكأنه الشيطان وليس ركناً من أركان مؤسسة نزيهة في السبعين من عمره.

عادت مارشا إلى المكتب وعاد إليها إرهاق النهار وعاد إليها ألم

Dalyia www.Rewity.com

الافتراق عن تايلور.

كان هذا صباح السبت، وكانت مارشا تعلم أن بيكي وكثيرين غيرها ليسوا في الدوام. وكان جيف على كل حال مصمماً على الحضور وإنهاء العمل الذي سلمه إياها أمس، وهكذا قررت أن تكتب الملاحظات التي جمعتها ولخصتها عن أوزوالد وتتركها لجيف قبل أن تذهب إلى بيتها لتنام.

ما إن دخلت إلى مكتبها حتى انفتح باب رئيسها جيف وأطل هو برأسه: «تعالي إلى هنا، لقد أحضرت القهوة».

قال هذا باسماً بمرح، كما المفروض أن يكون فالبرنامج سيكون ناجحاً. كلهم كانوا يعلمون ذلك قبل حضور أوزوالد لكن الآن أصبح نجاحه محتوماً كما أخذت مارشا تفكر وهي تتبعه إلى مكتبه.

- تبدين متعبة.

فقالت بجفاء: «شكراً جزيلاً. وباعتبار أنني أمضيت أربع وعشرين ساعة دون نوم ولا طعام، أظنني أبدو بأحسن حال».

لم تنظر في المرآة منذ ساعات، لكنها لن تخبره بذلك، ولا بأن قلة النوم والطعام ليسا هما المشكلة إنما رجل طويل القامة وعيناه بلون العسل الداكن.

سكب لها كوب قهوة لذيذة.

- ما هذه؟

كان قد وضع أمامها كيساً. فتحته فوجدت أربع شطائر.

وأحضر لنفسه كيساً آخر وهو يقول: «هدية من زوجتي. افترضت أنك ستكونين جائعة عندما تعودين إلى هنا».

فقالت متأثرة: «ما ألطفها!».

- إنها تظنني أجهدك في العمل.

- إنها على صواب.

- أخبريني بما فعلت وبعد ذلك نشرب كوباً آخر ثم نأكل.

فقالت بأسى: «أترى ما أعنيه؟»

عندما فرغت من سرد كل شيء له، مال إلى الخلف في كرسيه ثم قهقه بصوت مرتفع: «أودّ أن أرى وجه بينلوب حين نخبرها بما حصلت عليه».

ودفع نحوها كيس الشطائر: «والآن كلي هذا وإلا ستظن زوجتي أن طعامها لم يعجبك».

كانا يتناولان كوب القهوة الثاني وقد خلعت مارشا حذاءها تريح أصابع قدميها عندما سمعا وقع خطوات في الخارج تبعتها دقات عنيفة على باب جيف جعلتها تنتصب في جلستها. وفي اللحظة التالية كان تايلور واقفاً في عتبة الباب. كان يرتدي نفس بذلة العشاء التي كان يرتديها في المستشفى وقد أصبحت الآن مجعدة كما تشعث شعره وأصبح لا يشبه تايلور بشيء. لكن مارشا رأت فيه وسامة أكثر من أي وقت مضى. قال بعد أن أومأ لجيف بتحية قصيرة: «كنت أبحث عنك. لم تكوني في المطار كما أن السيدة تيت كولينز لم تكن تعلم مكانك».

- كان هناك عمل مستعجل عندما عدت من المستشفى.

لم تستطع أن تتحرك ولا أن تفكر.

- أخبرتني سوزان بكل شيء.

يبدو أنه توقع منها بعض التجاوب لكنها كانت تشعر بالخدر. شعرت بأنها غير طبيعية، وأخذت ترتجف شاعرة بالبرد يجمدها حتى عظامها. لم تجرؤ على التفكير في أن وجوده هنا كان يعني شيئاً. فقد

Dalyia www.Rewity.com

كانت في الأيام الأخيرة مشوشة المشاعر بين الآمال والمخاوف قبل أن تتحطم أخيراً بشكل كامل.

طال الصمت بينهما حتى أصبح مؤلماً متوتراً وتشابكت أعينهما حتى لم يستطع جيف أن يحتمل ثانية أخرى: «كانت مارشا في «واتفورد» منذ الساعات الباكرة. فأرسلت زوجتي بعض الشطائر إلى من يريد. هل تريد واحدة؟».

ومرّت لحظة ظنت هي فيها أن تايلور لن يجيب، ولكن عندما استطاعت أخيراً أن تنزع نظراتها من نظراته، التفت إلى جيف وقال بصوت هادىء للغاية: «شكراً، سآخذ واحدة».

- تفضل.

وعندما بقي تايلور واقفاً مكانه، نهض جيف وقدم له كرسياً وضعه بجانب مارشا: «ألا تجلس؟ كيف تحب قهوتك؟».

جلس تايلور وقد عادت عيناه إلى مارشا ثم قال بذهن شارد: «مرّة من فضلك».

رغم أن عينيها كانتا مسمرتين على فنجانها، كانت واعية لكل إنش من ذلك الجسد الطويل بجانبها. ثم ذُعرت حين رأت نفسها ترتجف فجرعت نصف قهوتها الحارة المحرقة لكي توقف هذا الارتجاف.

بعد أن وضع جيف القهوة والشطيرة أمام تايلور، قال: «علي أن أخرج دقيقة، هناك المزيد من القهوة. تعرفان كيف..».

لم يلاحظ خروجه أي منهما، كما لم يتوقع هو ذلك. وعندما أصبحا وحدهما قال تايلور برقة: «لم أعرف إلى أين ذهبت».

فقالت بصوت بقرب للهمس: «ذهبت في عمل مستعجل».

- لا أظنك أخذت كفاية من النوم.

لم تستطع أن ترفع عينيها إليه: «لا، لم أنم مطلقاً».

ساد صمت آخر ثم قالت: «كيف حال سوزان؟».

- كانت نائمة عندما خرجت. سيبقى ديل معها ثم يعيدها إلى البيت بعد أن يراها الطبيب.

- ستكون بخير إذن؟

- إنها بحاجة إلى مساعدة. إنها هزيلة للغاية. لقد أخبر ديل الطبيب أنها تطوف حول البيت معظم الليالي لأنها لا تستطيع النوم. كان يريد أن يأخذها إلى الطبيب منذ أشهر. بعد أن قال كل ذلك، عليّ أن أعترف بأن لو كان من فعل بنا ذلك شخص غير سوزان لكان نال ما يستحقه.

نظرت في عينيه وقالت برقة: «لكنه سوزان».

حدق إليها وعيناه تنتقلان بين ملامح وجهها: «لا أراك تحملين أي حقد عليها حقاً، أليس كذلك؟».

قال هذا بشيء من العجب في لهجته: «قالت إنك صفحت عنها، لكنني ظننت ذلك لأنك كنت فقط لا تريدين أن تكدريها الليلة الماضية».

- طبعاً صفحت عنها، لأجلك على الأقل.

- شكراً. اسمعي. متى يمكنك أن تغادري هذا المكان؟ إننا بحاجة إلى أن نتحدث وأنت تعلمين هذا، أليس كذلك؟

ابتلعت ريقها بصعوبة. لم يعطها أي بصيص أمل ولكن لا شيء في العالم يجعلها تمتنع عن الذهاب معه: «سبق وأخبرت جيف عن كل ما يريد أن يعرفه. يمكننا أن نذهب في الحال إذا شئت».

- هيا بنا إذن.

- سأكتب له أننا اضطررنا للذهاب وسأراه صباح الاثنين.

كتبت كلمة سريعة بأصابع مرتجفة واعية في نفس الوقت إلى تايلور

Dalyia www.Rewity.com

بسترته وشعره الأشعث ما يناقض أناقته المعتادة. وكان هذا مقلقاً، لأنه لم يغتسل ويغير ملابسه قبل أن يخرج للبحث عنها.. هذا لا يعني شيئاً بالضرورة، كما حذرت نفسها عندما شعرت بقلبها تتسارع خفقانه. ولكن رغم كل محاولاتها لخنق الأمل في نفسها بقي هذا ينمو.

استمر قلبها بخفق وهما يغادران المكتب. وبعد أن لوحت بيدها باسمة لموظف الأمن بوب في المدخل، خطرت لها فكرة فسألت تايلور:

- كيف سمح لك بوب بالدخول دون أن يتصل بي أولاً؟

أخرج تايلور من جيبه بطاقة دخول يحملها كل الموظفين.

- «شركة كين الدولية» هي التي تمد وتركب المعدات الجديدة. هل نسيت؟ رأت بينيلوب أنها فكرة جيدة لكي أدخل وأخرج متى شئت.

وتلاشى الأمل في نفس مارشا مرة أخرى.

كانت سيارته بالانتظار، وفتح تايلور لها الباب فدخلت وجلست شاكرة ذلك لما تحسه من تعب غريب.

- أنت متعبة للغاية.

قال لها ذلك وهو يجلس بجانبها ويتأمل وجهها. حسناً على الأقل لم يقل إنها تبدو مشعثة كما قال جيف رغم أن هذا ما كانت تفكر فيه. والتفتت إليه فتشابكت نظراتهما. الوجه الصلب الوسيم بدا متجهماً، وهو يبادلها النظر: «ليس لي أي عذر للأشياء التي قلتها لك».

- ماذا؟

كان هذا آخر ما تتوقع منه أن يقوله لها.

- كان عليّ أن أدرك أنك ما كنت لتصدقي كلمة عن مسألة تانيا من أي شخص غريب وأن لا بد هناك سبباً وجيهاً يمنعك من كشف الاسم.

كما أن الرسالة...

- لا، أنا أفهم لماذا لم تصدق أنني لم أستلمها. لأن إمكانية ضياعها كانت ضئيلة للغاية، أنا التي أخطأت في كل شيء. لم أثق بك حين كان عليّ أن...

- وكيف يمكنك ذلك؟ لقد قامت سوزان بكل شيء، وهي تعلم مدى ضعفك... تعرف خلفيات حياتك. استغلت خوفك من أن تصبحي منبوذة، ضاربة على الوتر الحساس. ما زلت لا أستطيع أن أصدق أن أختي الصغيرة قادرة على مثل هذه القسوة.

قال هذا بمرارة، فقالت له برقة بالغة: «لم تكن في عقلها الكامل».

كرهت أن ترى الألم على ملامحه القوية مدركة العذاب الذي يعانيه.

- كانت قادرة بما يكفي للاتصال بالفندق وتغيير الحجز قبل أن تخبرك، وأيضاً لاعتراض سبيل تلك الرسالة.

وتهدج صوته ورد شعره إلى الخلف بحركة عنيفة عبرت عن قنوطه وغضبه.

فقالت مارشا معبرة عن استيائها هي أيضاً: «تايلور! عليك أن تتذكر أنها لم تكن حينذاك سوزان الحقيقية. أختك الحقيقية التي تعرفها وتحبها هي تلك المرأة التي دمرها شعورها بالذنب منذ ذلك الحين. حدثتني بشعورها حين عرفت بعلاقة زوجها... لم تستطع الإنجاب وأن ديل لم يعد يحبها كما كانت تظن، هذا ما كانت تشعر به، ثم... لو كنت أنا وثقت بك، كما كان ينبغي، لما نجح شيء مما فعلت. ولكن صدقني في شيء واحد، أرجوك. لم يكن السبب هو أنني لم أحبك بما يكفي، وإنما لأنني أحببتك أكثر بكثير مما تظن، وقد أفزعني أن أدرك

Dalyia www.Rewity.com

أنك عالمي كله، وكل شيء لي في الحياة. لم أستطع أن أصدق أن شخصاً مثلك يريد امرأة مثلي بقية حياتنا».

ـ آه، يا حبيبتي.

ومال نحوها يشدها إليه. لم تكن قبلة رقيقة تعبر عن الحاجة والقنوط والألم، لكنها قبلة عاشق طويلة عميقة هزت كيانها بأجمعه.

ـ أنت كل شيء بالنسبة لي... وأنت تعرفين ذلك. منذ رحيلك عني وأنا أعيش في جهنم، لا سيما عندما أتصورك مع رجل آخر. لم أصدق أبداً أنك لن تعودي إليّ، وأنك لا تعرفين كم أحبك وأنني لا يمكن أبداً أن أخونك.

كانت كلماته تخترق قلبها كالسهام. لقد آلمته كثيراً، فكيف يبقى على حبها؟ وقالت: «آسفة، آسفة».

وضع يده على فمها فتأثرت من الأعماق عندما أحست بها ترتجف وهو يقول: «أنا الذي كان مخطئاً. كان عليّ أن أدرك أنك ما زلت متأثرة بما حدث لك في ماضيك مما منعك عن الثقة بنفسك كامرأة. لم نمض حقاً وقتاً كافياً حين حدث كل هذا. ربما لو أمضينا عدة سنوات.. ولدينا أولاد، لاختلف الأمر. ولكنني الآن توقعت أكثر مما ينبغي».

ـ من حقك أن تتوقع مني أن أثق بك.

قالت هذا ودموعها معلقة على أهدابها كاللؤلؤ.

فعاد يحتضنها: «ربما. ولكن كان عليّ أن أكون أكثر تفهماً ما دمت أحبك بهذا الشكل. فقط عندما أصبحنا قريبين من الطلاق، أدركت أنك حقاً لن تعودي. عند ذلك تملكني الذعر».

ـ أحقاً؟

وحدقت إليه بعينين متسعتين تلمعان بالدموع. لم تستطع أن تتصور

تايلور يتملكه الذعر لأي شيء.

ـ آه، نعم. أدركت أنني لن أستطيع العيش من دونك فكان عليّ أن أفعل شيئاً، أن أدوس على كبريائي الحمقاء، وأجعلك ترين الحقيقة. كنت أعلم أنك تحبينني، لكن ذلك لم يكن كافياً لإقناعك بالعودة. وعندما سمعت عن حاجة الشركة التي تعملين فيها إلى معدات وجدت ذلك رائعاً. يمكنني أن أصادفك أثناء عملك. وطبعاً لم أحسب حساب بينيلوب المنيعة.

لم تصدق أنها بين ذراعيه وهو يحتضنها حتى أنها تسمع خفقات قلبه، وقالت: «إنها معجبة بك، وقد وضعتك في برنامجها بصفتك هدفها التالي».

ـ أفضل أن أعشق حشرة بدلاً منها.

وسرعان ما أصبحت بينيلوب بعيدة عن ذهنها عندما تعانقا عناقاً محموماً ليرفع تايلور بعدها رأسه كارهاً وهو يقول: «هل أنت قادمة إلى البيت؟».

البيت!... غاصت هذه الكلمة في أعماق روحها، مثيرة فيها شعوراً لم تملك معه إلا أن تومىء بالإيجاب.

عندما تحركت بهما السيارة وجدت نفسها تتحرق شوقاً إلى الآتي، والحيوية تسري فيها من رأسها حتى أخمص قدميها. ساد الصمت بينهما أثناء رحلة العودة. كل الخيوط المتشابكة ستنحل فيما بعد، لأنه يكفيهما الآن عودتهما إلى بعضهما البعض.

ما إن وقفت السيارة أمام الباب حتى انفتح هذا على الفور وخرجت حنة تستقبلهما. رأت مارشا عيني مديرة المنزل تتسعان لرؤيتها، واستقبلتها على الدرجات واحتضنتها بشدة حبست أنفاس مارشا، ثم

Dalyia www.Rewity.com

قالت تخاطب تايلور: «اتصل ديل منذ دقائق. جاء الطبيب وقال إن بإمكان سوزان أن تخرج من المستشفى، وهكذا سيأخذها إلى البيت. لقد أوضح القليل مما جرى».

- سنتحدث فيما بعد.

وعندما دخلا الردهة ربت تايلور على ذراع حنة: «ستنام بعد لحظة. مارشا لم تنم منذ أربع وعشرين ساعة، وأنا غفوت قليلاً في المستشفى. إذا اتصل أحدٌ أخبريه بأنني في السرير مع زوجتي ولا نريد إزعاجاً».

أشرق وجه حنة بالابتسام بينما صعدا السلام يداً بيد، ولكن عندما فتح تايلور الباب إلى غرفتهما الرائعة الجمال، شعرت مارشا فجأة بالخجل. كانت حنة قد فتحت النوافذ وكان الجو معطراً بأريج اللافندر، والسرير الكبير بأغطيته الناعمة يحتل الغرفة كالعادة. وشعرت لحظة بأنها عادت عروساً. وكان هذا شعوراً غريباً.

دار رأسها للسرعة التي تغيرت فيها الأمور. لقد عادت إلى البيت، إلى بيتها مع تايلور، أما الكابوس فقد زال.

لم يكن لديها وقت للتفكير أكثر من ذلك فقد ضمها بقوة بين ذراعيه فطارت كل فكرة عقلانية من رأسها وهي تستسلم لمشاعرها وذابت بين ذراعيه، وطوقته بذراعيها.

كيف استطاعت البقاء بعيداً عنه بذلك الشكل؟ وتمتم بصوت أجش: «بقيت ثمانية عشر شهراً أحلم بهذا العناق. ثمانية عشر شهراً».

فقالت وهي تتنهد: «لكننا تعانقنا في غرفتي ذلك الصباح».

- ليس كما لو كنت هنا معي في بيتك. أريد أن أستيقظ بجانبك عالماً بأن علي أن أمد يدي فقط لأجدك بجانبي ناعمة كالحرير.

شعرت بروعة الوجود معه، وأصبحت الأشهر الثمانية عشر

الماضية حلماً سيئاً استيقظت منه أخيراً.

قال بأنفاس ممزقة: «فلنذهب إلى السرير».

رغم أنهما كانا مرهقين، إلا أن لهفة أحدهما للآخر كانت جياشة متملكة، محمومة... فقد عادت مارشا إلى بيتها ولديهما الآن كل الوقت ليعوضا عن الوقت الضائع.

تهامسا بكلمات الحب والتعهد بألا يشك بعد الآن أحدهما بالآخر أو يفترقا.

كانت رحلة العودة إلى عالمهما ساحرة... عالمهما السري حيث لا يتطفل عليهما أحد.

رفعت مارشا يدها تلامس وجهه وذقنه... فقال: «كان علي أن أحلق ذقني».

وابتسم آسفاً.

- فيما بعد! كل شيء يمكن أن يؤجل إلى ما بعد.

واندست به وأمواج التعب تكتنفها ثم ناما.

لم يسمع أي منهما رنين الهاتف، أو صوت حنة وهي تخبر بينيلوب، تبعاً لإرشادات تايلور، بأن السيد كين هو في السرير مع زوجته ولا يريد أن يزعجه أحد.

Dalyia www.Rewity.com

الختام

عاد شهر حزيران وتألقت الشمس في السماء الزرقاء الصافية، وعبق الجو بعبير اللافندر. أصلحت مارشا من جلستها في الكرسي الكبير تحت المظلة، وابتسمت وهي ترى تايلور وديل يسبحان مع طفلتي سوزان وديل التوأمين، ويرشون الماء على بعضهما البعض.

من كان يظن أن بإمكان خمس سنوات أن تحدث مثل هذا الفرق؟ فكرت في ذلك وهي تنظر إلى سوزان التي كانت نائمة بجانبها. لم يكن أحد أكثر دهشة من سوزان وديل عندما، وبعد ستة أشهر من عودة مارشا وتايلور إلى بعضهما البعض، اكتشفت سوزان أنها حامل.

غيّر مولد التوأمين سوزان كلياً. توقفت عن رؤية طبيبها، واستغرقت في مشاعر الأمومة مستمتعة بكل دقيقة منها، رغم القلق المحموم الذي شعرت به في البداية: الإرضاع الليلي، صراخ الطفلتين، قلة النوم... لاشيء من ذلك استطاع أن يصرفها عن استمتاعها هذا، وبدت الحيرة على ديل وتايلور ومارشا وهما يرون هذه المخلوقة الهزيلة المريضة تستحيل امرأة ممتلئة مسيطرة تقوم بكل شيء دون صعوبة.

- لا أدري من يستمتع باللعب أكثر: التوأمان أم ديل وتايلور.

التفتت مارشا لسماعها صوت سوزان فرأتها مستيقظة.

- ديل وتايلور بالتأكيد.

أجابتها وهي تنظر إلى كل منهما يقذف بطفلة في الهواء ثم يتلقاها قبل أن تصل إلى الماء: «أظن..».

وسكتت فجأة وهي تغمض عينيها وتتنفس بسرعة عدة لحظات. وعندما عادت تفتحهما كانت سوزان تنظر إليها بقلق. فقالت مارشا بهدوء: «كانت هذه قوية».

- هل تشعرين بألم؟ منذ متى؟

- منذ ساعة أو اثنتين.

قالت مارشا هذا وهي تمسد بطنها الضخم عندما زال الألم. وعادت تقول: «لا تخافي، ليس معظم الناس مثلك. أول طفل يستغرق عادة دهراً».

وكانت سوزان قد ولدت التوأمين خلال ساعتين منذ ابتداء الولادة حتى نهايتها. وكاد ديل يصاب بنوبة قلبية قبل أن يصل إلى المستشفى.

- سأخبر تايلور.

وسرعان ما كان تايلور بجانبها: «هل أنت بخير؟».

- أنا بخير. ما زال أمامي دهر.

- سآخذك إلى الداخل.

وعندما يتكلم تايلور بهذه اللهجة كانت مارشا تعلم أن لا خيار آخر أمامها. فوقفت وهي تتذمر بصوت مرتفع، وسارت إلى البيت لكنها اضطرت إلى التوقف في منتصف الطريق بعد أن فاجأها الألم مجدداً.

جلست في الردهة وسط رعاية الجميع بينما راحت حنة تجري مهرولة تجمع لها حقيبة المستشفى وخلال ثوان كان تايلور قد عاد إلى الطابق الأسفل بعد أن غير ملابسه واستعد.

Dalyia www.Rewity.com

كان يبدو مضطرباً ما حيّر مارشا تماماً. لم تظن قط أنها سترى يوماً زوجها الهادىء المتزن في مثل هذا التشوش والاضطراب، لكنها ترى ذلك الآن.

ـ كم من التقلصات شعرت بها طوال فترة وجودي في الطابق الأعلى؟

ـ مرة واحدة. ثم هل تعلم أنك لبست جارباً أسود وآخر بني؟

ـ تباً لجواربي! كم يفصل الطلقة عن الأخرى بالدقائق؟

ـ خمس.

ـ خمس؟

ـ آخ...

كانت التقلصات هذه المرة قوية... قوية للغاية! وعندما تلاشت حملها تايلور بين ذراعيه رغم احتجاجها العنيف وأخذها إلى السيارة وقد شحب وجهه.

وعندما جلس بجانبها بعد أن وضع حقيبتها في صندوق السيارة، وضعت يدها على يده مواسية: «أنت تعلم أن النساء يلدن أطفالاً كل يوم».

ـ أنت زوجتي وهذا طفلي وهذا لا يحصل لي كل يوم.

فقالت بجفاء: «بل طفلنا».

ـ أنت تعلمين ما أعنيه.

وكانت تعلم، وكانت تحبه لاهتمامه. ربما لن ترى تايلور في حالة ذعر مرة أخرى... إلا إذا جاء طفل آخر. فاستراحت إلى الخلف، مستمتعة بكل لحظة من هذا الحدث.

وعندما وصلا إلى المستشفى واستقرت على السرير في غرفة

الولادة، بقي تايلور بجانبها وشاركها هذا الشعور تماماً. لم يكن يصدق أن امرأة هشة مثل مارشا يمكن أن يكون لها قبضة مصارع، لكنه تساءل بجد عما إذا كانت حطمت أصابعه مرة أخرى.

وولد صامويل تايلور كين في الخامسة مساءً وعندما حملته القابلة الباسمة إلى أمه، نظرت هذه إلى وجهه العابس، وشعره الأسود. ووقعت في غرامه على الفور، كما فعل أبوه.

جلس تايلور بجانبيهما على حافة السرير، محدقاً بعجب في طفله ثم انسكبت دموعه على خديه، وقال لمارشا برقة: «أحبك، كثيراً».

ولمس شعر طفله بأصابعه فأجابت: «وأنا أحبك أيضاً».

ـ ألا تندمين لتركك عملك؟

ابتسمت له. كانت قصة باكستر سبقاً صحافياً أكد لها أنها أصبحت مرموقة. وعندما حصلت على ترقية وزيادة في الراتب، لم يدهش أحد. لقد استمتعت بالسنوات الأخيرة ولكن عندما ابتدأت مع تايلور محاولة انجاب طفل، أدركت أنها تريد قضاء الوقت كله في المنزل مع الطفل. كانت تريد أن تمنح طفلها، وأطفالها اللاحقين، كل ما لم تستطع هي الحصول عليه. وبإمكانها أن تعود إلى عملها لاحقاً إذا شاءت، أما الآن فتريد أن تكون زوجة وأماً.

ـ شكراً لإنجابك ابننا.

ـ ولكن كان لك دور في إنجابه.

ـ الدور السهل فقط.

قال هذا ضاحكاً لها فبدا رائعاً.

ـ هذا صحيح، إننا أسرة الآن يا حبيبي.

Dalyia www.Rewity.com

ومسحت الدموع عن وجهها وهي تعجب لماذا يبكي الإنسان حين يكون في قمة السعادة.

- صحيح!

همس بهذا وهو يضمهما معاً إليه.